

محمد عبد الغني حسن

ابن سعيد المغربي

الاديب المؤرخ الرحالة المترجم

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

ان العبارة التي جاءت في كتاب « المغرب » لابن سعيد المغربي بقلمه في ترجمة حياته تقول عنه ان اسمه : « علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد » ، ويقول عنه المؤرخ الاندلسي المقري صاحب « نفح الطيب » انه هو : « أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي » ، ويقول عنه لسان الدين بن الخطيب في كتابه « الاحاطة » ان اسمه : « علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي المدلجي» والمدلجي خطأ مطبعي صوابه «المذحجي» نسبة الى مذحج بن ادد (١) . وهذه أطول تسمية ونسب لابن سعيد المغربي وقعنا عليه في كتاب ممن ترجموا له وأخبروا عنه . وان كان قد جاءت في مقدمة كتاب « عنوان المرقصات المطربات » لابن سعيد المغربي سلسلة من النسب تختلف عما جاء في كتاب « الاحاطة » بعض الشيء ، وان كان ابن شاكر الكتبي في كتابه « فوات الوفيات » قد جاء باسم الرجل ونسبه هكذا : « علي بن موسى بن سعيد المغربي » .

ولقد ترجم ابن سعيد المغربي لنفسه في كتابه « المغرب » ترجمة وجيزة جدا على نحو منهجه في التراجم ، ولكنه أطال مقدارها بما رواه لنفسه من الاشعار بعد ذلك . ولنستمع اليه وهو يقول عن نفسه : « هو مكمل تصنيف هذا الكتاب ، ولد بغرناطة في شوال سنة عشر وستمائة ، ورحل منها فجال مع أبيه في بر الاندلس ، وبر العدوة ، والغرب الاوسط ، وافريقية الى الاسكندرية ، وترك والده بالاسكندرية ورحل الى القاهرة، ثم عاد اليها فحضر وفاته ، ثم رجع الى القاهرة ، ثم رحل الى حلب في صحبة الصاحب الكبير المحسن كمال الدين بن ابي جرادة (٢) ، ثم عزم على الحج في هذه السنة وهي سنة سبع واربعين وستمائة . يسر الله ذلك بمنه » .

هذا ما كتبه الرجل عن نفسه في كتابه « المغرب » ، ولكن تصادفنا في اختصار كتاب له آخر اسمه « القدح المعلى » ترجمة له وتعريف به ، افتتحت بها تراجم الكتاب. ونكاد نجزم بأن هذه الترجمة ليست بقلم ابن سعيد المغربي ، لان رجلا ــ مهما كان رايه في نفسه واعتداده بذاته ــ لا يقول عن نفسه انه : « بحر لا يمتطى ثبجه ، ولا تخاض لجه ، علامة الاعلام ، وراوية الجاهلية والاسلام ، مالك عنان البيان ومصرفه ... » ويلاحظ في الترجمتين الاولى والثانية انهما بضمير الغائب لا بضمير المتكلم ، فلا يقول : ولدت ، ورحلت ، ورجعت ، وعزمت، بل يقول : ولد ، ورحل ، ورجع ، وعزم .

ولد علي بن موسى بن سعيد المغربي في قلعة « يحصب » (٣) ، أو قلعة بني سعيد بغرناطة سنة ٦١٠ هجرية (٤) . وكانت تعرف بقلعة « أسطلير » نسبة الى عين ماء قريبة منها .. وبيتهم عريق في الشرف والفضل والرياسة . ويكفي انهم يذهبون بنسبهم الى عمار بن ياسر الصحابي الجليل . أما جده محمد بن عبد الملك فكان وزيراً مقدما عند « ابن غانية » وتولى أعمال اشبيلية وغرناطة في عهد الموحدين ، وكان ممدوحا للرصافي شاعر الاندلس في وقته .

ويظهر ان اضطراب الامور في الاندلس لم يرض أباه ، ولم يرضه هو ايضا ، فقرر السفر شرقا الى مصر للحج أولا ، وللهجرة ثانيا ، فمرا في طريقهما بالمغرب وتونس ، ثم بلغا ثغر الاسكندرية سنة ٦٣٩ هـ ، فترك صاحبنا والده بالثغر ، وسافر الى القاهرة حيث ودعه أبوه بقصيدة كافية مشهورة تعد من ادب رسائل الآباء الى الابناء ومطلعها :

اودعك الرحمن في غربتك	مرتقبا رحماه في أوبتك
فلا تطل حبل النوى انني	والله أشتاق الى طلعتك

وعاد علي بن سعيد من القاهرة الى الاسكندرية ليحضر وفاة والده سنة ٦٤٠ هـ ، وانتقل صاحبنا الى القاهرة وحيدا ، وظل بها بضع سنوات ، وكان سلطان

مصر حينئذ الملك الصالح نجم الدين الايوبي ، وليس عندنا ما يقطع باتصال ابن سعيد المغربي بالملك الصالح الذي كان منعزلا عن المجالس الادبية والعلمية ،ولكنا نعلم انه اتصل بجمال الدين بن يغمور الذي ناب عن السلطان في مصر ودمشق . واعجب ابن سعيد بابن يغمور من حيث علمه وادبه ، وشجاعة قلبه ، وجلال قدره ، وتدبير رأيه ، فصنف له كتاب « رايات المبرزين » ، وابن يغمور هذا من مواليد الصعيد في مصر ، كما يذكر المؤرخ العماد الحنبلي صاحب شذرات الذهب » .

ووفد الى مصر القاضي العالم المؤرخ الوزير كمال الدين بن العديم سنة ٦٤٤ هـ رسولا من الملك الناصر يوسف الايوبي صاحب حلب والشام ، الى سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين ، وجمع الحظ الحسن بين الرجلين ، فأعجب كل منهما بصاحبه ، وزاد اعجاب ابن العديم بابن سعيد المغربي ، فوالاه برعايته وبره ، وعرض عليه السفر معه الى حلب ليتولى بنفسه تقديمه الى الملك الناصر ، واستجاب ابن سعيد لهذا العرض لما سمعه عن الملك الناصر وحبه للادب والشعر .

وسافر ابن سعيد المغربي بصحبة ابن العديم ، ودخل معه على الملك الناصر ، وانشده قصيدة لبقة كيسة المطلع حيث يقول :

جد لي بما لقي الخيال من الكرى لا بد للضيف اللم من القرى !

وطرب الملك الناصر ، كما طرب ابن العديم لهذا المطلع الذي يدل على مقصود الشاعر من اول بيت في القصيدة !! وانبسط الملك لابن سعيد بعد بشاشته لهذا المطلع ، وحدثه ابن سعيد عن نفسه ، وعن وطنه الاندلس الذي اخذ ملوك الفرنجة يقتطعونه بلدا اثر بلد ، واحب الملك استبقاءه واستظرف حديثه وحضور بديهته وخفة ظله ، ولقبه بلقب « البلبل » على عادته في تلقيب الشعراء بأسماء الطيور . ولقد استطاب ابن سعيد المغربي العيش في كنف الملك الناصر وحمايته لثلاث سنوات أو تزيد قليلا، ووجد الانس بحضرته، وسمع منه شعرا ، واسمعه شعره ومدائحه فيه . ولقي ابن سعيد في بلاط الناصر جماعة من العلماء والادباء منهم عون الدين (٥) العجمي ، والشهاب التلعفري الشاعر ، والتاج ابن شقير ، وابن نجم الموصلي (٦) ، والشرف الاربلي وغيرهم ..

وانتقل ابن سعيد المغربي الى دمشق ، وكثيرا ما سمع من الشاعر ابن مفرج الاشبلي - وهما بالاندلس - وهو يطنب في الثناء على دمشق ويصف محاسنها ، فيمتليء خاطر ابن سعيد من شكلها ، ويتمنى على الله أن يراها ، الى ان حقق الله أمله ... ثم دخل الموصل وبغداد ، وعاد الى دمشق . وهنا - وفي سنة ٦٤٨ هـ - لقي الملك المعظم توران شاه في طريق عودته من حصن كيفا الى مصر ، ليخلف اباه الملك الصالح على عرشها حينما احست شجرة الدر بدنو أجله ، وقد أدناه المعظم توران شاه منه وأدخله مجلس خلوته .

ولقاء ابن سعيد المغربي للمعظم توران شاه في دمشق يثير في النفس كلمة ، فقد جاء في كتاب « الاحاطة » وعنه نقل صاحب « نفح الطيب » أن ابن سعيد المغربي « دخل مجلس السلطان المعظم بدمشق ، وحضر مجلس خلوته » ونقل الدكتور شوقي ضيف في مقدمته الثمينة لكتاب « المغرب » هذا الخبر قائلا : « اتجه الى دمشق ، وتعرف بها على السلطان المعظم توران شاه ، واصبح من ندمائه » فزاد الدكتور شوقي ضيف على المعظم قوله : « توران شاه » ، ولكن المرحوم الدكتور زكي محمد حسن في تقديمه الطويل لكتاب « المغرب » قسم مصر يشير الشك في هذا قائلا : « أن هذا كله لا يزال يحتاج الى تحقيق دقيق ، لان الملك المعظم توران شاه لم يكن في دمشق سنة ٦٤٧ هـ ، وانما كا ن نائبا عن أبيه في حصن كيفا ... » .

والحق اننا سنضطر الى الوقوف قليلا امام كلام الدكتور زكي محمد حسن . فالدكتور شوقي ضيف على حق حينما جعل الذي قابله ابن سعيد بدمشق هو المعظم توران شاه . ولا يمكن ان يكون « الملك المعظم عيسى » سلطان دمشق لانه توفي سنة ٦٢٤ هـ ، وابن سعيد المغربي وصل الى الاسكندرية سنة ٦٣٩ هـ قادما من الاندلس والمغرب ، فلا يعقل ان يلقى « المعظم عيسى » بعد انتقاله الى رحمة ربه سنة ٦٢٤ هـ . وقد ثبت أن لقاء ابن سعيد المغربي المعظم سلطان دمشق كان سنة ٦٤٧هـ ، فلا يمكن ان يكون هذا المعظم ، الذي تحدث عنه صاحبا الاحاطة ونفح الطيب ، الا المعظم توران شاه الذي كان بدمشق في ذلك الحين عائدا من حصن كيفا ليتسلم عرش مصر من والده المريض مرض الموت : الملك الصالح نجم الدين أيوب . فقد ذكر المؤرخ الثقة أبو شامة في ذيله على كتابه « الروضتين » صفحة ١٨٣ ، ان الملك المعظم توران شاه جاء من حصن كيفا ودخل دمشق في رمضان سنة ٦٤٧ هـ ، ونزل بقلعتها ، وأقام بها ، واستقبل أناسا كثيرين منهم المؤرخ ابو شامة نفسه ، واحسن اليه - كما يعترف - ثم سافر الى مصر في طريقه الى ملاقاة الصليبيين . وهنا كان لقاء ابن سعيد المغربي للمعظم توران شاه .

وبعد ان ادى ابن سعيد فريضة الحج عاد الى تونس سنة ٦٥٢ هـ ، واتصل بخدمة اميرها أبي عبد الله المستنصر الحفصي ، وكان يعرفه منذ مروره بها خارجا من الاندلس سنة ٦٣٩ هـ ، في عهد ابيه أبي زكريا الحفصي ، وظل قريبا من بلاط المستنصر اربعة عشر عاما ، الى أن عاوده الحنين الى المشرق ثانية ، فرحل اليه مرة اخرى سنة ٦٦٦ هـ (٧) وظل به زمنا ، ثم عاد الى تونس ، وبقي فيها الى ان ادركه أجله (٨) بها سنة ٦٨٥ هـ .

وهنا نود ان نقف مرة اخرى مع المرحوم الدكتور زكي محمد حسن لنصحح بعض الوهم الذي وقع فيه في اثناء تحقيقه لكتاب « المغرب لابن سعيد المغربي ـ القسم الخاص بمصر » ، فقد ذكر رحمه الله « ان ابن سعيد رجع من الحجاز الى تونس سنة ٦٥٢ هـ ، حيث نزل عند صديقه أبي العباس التيفاشي » . وهذا غير صحيح ، لان التيفاشي مات سنة ٦٥١ هـ ، فليس بمعقول ان يكون قد لقيه بعد وفاته ! والصحيح انه لقيه قبل هذا بكثير ، وهو في طريقه الى مصر والشرق مهاجرا من وطنه الاندلس ...

وقد يهون هذا الوهم الفليظ امام وهم اخر وقع فيه الدكتور زكي محمد حسن في تحقيق كتاب « المغرب » لابن سعيد المغربي ... فقد ذكر ان ابن سعيد المغربي « حن الى المشرق ثانية فرحل اليه سنة ٦٦٦ هـ ، وسمع في الاسكندرية بأعمال هولاكو ، فأحب أن يسعى اليه ، وسافر الى حلب ومنها الى ارمينية حيث اقام فيها مدة ضيفا على هولاكو » . والذي نعلمه ويعلمه التاريخ الصحيح ان ابن سعيد المغربي لم يصادف في حياته المخرب التتري هولاكو صاحب احداث بغداد ولم يسع الى لقائه ، وانما الذي فعل ذلك هو الملك الناصر صاحب حلب والشام ، فانه ـ بعد ان ضاع ملكه على يد هولاكو ـ اتجه قاصدا اليه ، وسار نحوه ... فلما مر بمقر امارته حلب ، ونظر الى معاهدها فرآها على غير ما يعهد تحركت فيه نوازع الشعر فقال :

مررت بجرعاء الحمى فتلفتت	لحاظي الى الدار التي رحلوا عنها
ولو كان عندي الف عين وقمتفي	معالمها عمري لما شبعت منها

وصنع في نعيها اشعارا يغني بها المسمعون ، وكان الناصر شاعرا اديبا ذواقة ، ثم رحل الى صحراء يوشن في جهة طريق ارمينية ، فوجد هولاكو هناك في تلك المروج المشهورة بالخصب ، فأنزله هولاكو وأقام الملك الناصر يشرب معه ، ومكث في ضيافته اياما ، الى أن جاءت الاخبار بهزيمة التتار على يد « المظفر قطز » في موقعة عين جالوت الشهيرة سنة ٦٥٧ هـ ، ففضبت عليه بطانة هولاكو من التتر وقتلوه ...

ولقد دخل الوهم الى الدكتور زكي محمد حسن من قراءته للخبر في كتاب « نفح الطيب » (٩) ، فان الضمائر تعود كلها الى الملك الناصر ، فتوهم الدكتور زكي محمد حسن انها عائدة على ابن سعيد المغربي ، وأسس عليها من النتائج غير السليمة ما أسس، مما أوقعه في خلط كبير .

بقي أن نصحح خطأ قام حول تاريخ وفاة ابن سعيد المغربي ومكانها . وقد يحدث خطأ او يقع خلاف حول شخص ما في تاريخ وفاته ، أو في مكان الوفاة ، ولكن ان يقع الخلاف فيهما معا فهذا ما يصادفنا على ندرة في كتب التاريخ والتراجم والطبقات . فقد ذكر المؤرخ ابن خلكان صاحب « وفيات الاعيان » ان ابن سعيد المغربي توفي بدمشق في شهر شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة . ويوافقه في هذا مؤرخنا المصري ابن تغرى بردى في كتابه « المنهل الصافي » ، وحاجي خليفة في «كشف الظنون» . ولكن لسان الدين بن الخطيب ، والمقري صاحب « نفح الطيب » ، وابن فرحون المالكي صاحب «الديباج المذهب» يتفقون على انه توفي بتونس سنة ٦٨٥ هـ . اما المؤرخ المصري السيوطي فله موقفان من هذه القضية ، ففي كتابه « حسن المحاضرة » يذكر أنه توفي بتونس سنة ٦٨٥ هـ ، وفي كتابه الاخر « بغية الوعاة » يذكر انه توفي سنة ٦٧٣ هـ .

ولقد وقف المستشرق الاسباني اميليو غرسيه غومس هذا الموقف في كتابه « الشعر الاندلسي » الذي ترجمه الدكتور حسين مؤنس ، فذكر التاريخين معا ولم يتعصب لواحد منهما أو يؤثره بالرجحان ، وذكر التاريخين معا كذلك محرر مادة « ابن سعيد » في دائرة المعارف الاسلامية ، ويظهر من تقديمه لتاريخ ٦٧٣ هـ انه يؤثره على التاريخ الثاني ويجعله راجحا لا مرجوحا . وقد انفرد محرر هذه المادة بقول جديد عن مكان وفاة ابن سعيد المغربي ، وهو انه توفي في اثناء عودته الى دمشق ... أي لم تكن الوفاة في دمشق ذاتها ...

وقد ينفعنا في تحقيق هذه القضية النص الذي جاء في نهاية كتاب « الفصون اليانعة » لابن سعيد المغربي نفسه ، فقد جاء فيه أن هذا الكتاب ـ يعني الفصون ـ « كتب في التاسع والعشرين من جمادي الاخرة عام خمسة وثمانين وستمائة » أي أنه فرغ منه

• هذا تلخيص فصل من كتاب (ابن سعيد المغربي) الذي صدر مؤخرا بقلم الاستاذ محمد عبد الفني حسن ، وهو اول كتاب في المكتبة العربية عن هذا الاديب الاندلسي المشهور الذي صان لنا كثيرا من أخبار الاندلس وتراجم رجالها . وقد صحح فيه المؤلف أوهاما كثيرة حول سيرة ابن سعيد ونواحي نشاطه ... (١) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم . (٢) هو المؤرخ المشهور ابن العديم صاحب «تاريخ حلب» . (٣) ورد اسمها في ترجمة دائرة المعارف الاسلامية هكذا : « يعصب » بالعين لا بالحاء ، وهو وهم من المترجم !! (٤) نقل محرر دائرة المعارف الاسلامية قولا آخر عن ولادة ابن سعيد المغربي سنة ٦٠٥ هـ ، وهو قول ضعيف . (٥) هكذا ورد هذا الاسم في نفح الطيب ، وأغلب الظن أنه تحريف مطبعي ، وصوابه « عز الدين المجمي » . انظر تاريخ ابن الفرات طبع بيروت حـ ٧ ص ٣٨ وانظر الاعلام للزركلي (٦) لم نوفق الى العثور على ترجمة لابن نجم ـ او ابن نجيم ـ الموصلي ، ولكن ابن سعيد المغربي يروى له من الشعر المرقص في كتابه « عنوان المرقصات والمطربات » ويسميه فيه : شرف الدين بن نجيم الموصلي . (٧) هذا التاريخ يرويه ابن سعيد المغربي نفسه في كتابه « عدة المستنجز » ، وقد نقله عنه المؤرخ المقري صاحب « نفح الطيب » . (٨) جرى المؤرخ جرجي زيدان على أن وفاة ابن سعيد المغربي سنة ٦٧٣ هـ ، وروى سنة ٦٨٥ هـ بصيغة التضعيف . اما الدكتور جودت الركابي في كتابه عن الادب الاندلسي فلم يذكر الا سنة ٦٧٣ هـ لوفاة ابن سعيد ، وترك الرواية الراجحة . (٩) نفح الطيب ، حـ ١ ص ٥٠٢ .

الدموع لا تجدي

يا باكيا في ربـوع القدس يبكينا ... وشـاكيا الما مـا زال يشكينـا
نبكي ونشكو وما في ذاك من حرج ... لو كان فيه شـفاء من مآسـينا
لا يرجع الدمع شيئا ضاع من وطن ... ولا تبلغنـا الشـكوى أمانينـا
ومـن شـكا همـه الا لخالقه ... ونفسه عاش طول الدهر مغبونـا

أنسال الحـق ممـن بات يهضمه ... قسرا وينزل فينا الخسف والهونا
أم نامل الخير من عادين قد شحذوا ... لذبحنا من وريـد العنق سـكينا
لا مجلس الامـن تجدينا محاضره ... ولا منظمـة الـدولات تحمينـا
عشرون عاما قرارات وليس لها ... جدوى سوى أنهـا زادت مآسينا
حتى تعدت على الاقصـى تدمره ... عصابة تجحـد الاخـلاق والدينا

ما نفعل الان ؟ هل نبقى على كمد ؟ ... نشكو ونذرف دمعـا من مآقينـا
أم نلهب الارض تحت الخصم تحرقه ... حرقا فيحسبها ثـارت براكينـا
ونمـلأ الجـو بالغارات تمطـره ... صواعق المـوت ترديه وتحيينـا
والجيش قد مهدت قبل الوثوب له ... كتائب الفتح فتحا في فلسطينـا
يعيد ذكرى انتصارات لنا سلفت ... في القادسية أو تلقـاء حطيـنـا

هم يحسبون بانا قد نلـين لهـم ... خابوا وخابت اذن أحلام صهيونا
فنحن من امـة كالطـود راسخة ... لم يلق منها العدى في دهرها لينا
تسعون مليون بل زدنـا على مئة ... فكيف نشكو أذى عاد يعادينـا
فأجعل لنا دولـة يا رب واحـدة ... منها تعيد لنـا أمجاد ماضينـا

حلب

محي الدين الحاج عيسى

قبل وفاته بشهرين ان صح ان وفاته كانت في شـهر شعبان ...

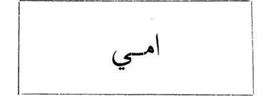
ومن اطرف ما شهدناه من القضايا حول نسب ابن سعيد المغربي الاندلسي ان بعض المؤرخين ومؤرخي الادب نسبوه الى تونس ، فقالوا عنه انه « ابن سعيد التونسي » وذلك لطول اقامته في تونس مستظلا بحماية اميرها المستنصر الحفصي وابيه من قبله ، ونجد هذا النسـب الغريب في كتاب « عنوان الاريب » للعلامة المغفور له الشيخ محمد النيفر التونسي ، وقد يكون هذا من بـاب التعصب الاقليمي ...

وبهذا اجتمعت لابن سعيد مؤرخنا ورحالتنا المشهور خمس نسب ، وهي : العنسي ، والمغربي ، والمذحجي ، والتونسي ، والاندلسي .

رحم الله ابن سعيد ، فقد كان وحده عصبة أمم عربيـة !! ..

القاهرة

محمد عبد الغني حسن



« حتى التي تلد الحياة تموت »

بقلم خليل الهنداوي

★

أمـاه ! .. لقد عـدت ...

كل شيء يدل على انك هنا ، ولكنك لست هنا !

هذه هي حجرتك مغلقة ، وهذا هو سريرك خاليا !

هذه صورة والدي لا تزال معلقة فوق سريرك الخـالي ، وهو يرنو بعينيه اللتين لا تغتمضان ، ولكن ، الـى من يرنو الان ؟

وتلك هي المئذنة الشاهقة التـي كنت تأنسين بصـوت الاذان ، ينصب بحنان ، في الاذان ، مرددا « اللـه اكـبر » .

ولا يزال يتردد ، ليدل على ان الانسان أصغر !

حسبتك لا تزالين حية ، تديرين عينيك هنا وهناك ، أمام وراء ، وانت شاخصة في الباب ، تسألين عني :

« هل عـاد ؟ انني اسمع صوته كعادته ، يجلجل ، حـين يدخل » ولكن ... هو الوهم ...

انه لم يعد ليراك حية ، يمتليء بك البيت ، كملاك أبيض ، باسط جناحيه علينا ، ولكنه عـاد ، ليرى ذلـك الملاك ، قد طوى جناحيه الى الابد .

كنت تخافين المستشفى ، تخافين لقاء الموت وحدك ، ولكن ... سبقت كلمة القدر :

لن تموتي في البيت الـذي تحبين ، بـل في المستشفى الذي تكرهـين !

لن تموتي هادئة كما كنت تريدين ، بل تحت تجارب الاطباء الذين ارادوا أن يروحوك الهواء ضغطا ، ويعطـوك الغذاء مصلا ، ولكن جسدك المتهدم الذي ظل يجاهد ويكافح ثلاثا وثمانين سنة قد أبـى ان يستجيب ، وقلبك الهابط الذي ظل يخفـق حتى اعيا ، قـد اعتذر عن متابعة الخفقان !

همد الجسد ، وخفتت الانفاس ، وافتر الوجه السـاكن باسما بسمة الموت ، راضيا بقدر الله ، واطبقـت العينان ، كأنهما تهيأتا لنوم عميق ، امتنع عنك في لياليك الاخيرة ، فكان ألالم نهاية للالم !

لقد كنت تحبين النور والشمس ، وكذلك احببتهمـا بعد الموت ، فاخترت المقبرةالضاحية للشمس ، الساطعة للقلوب الكسيرة .

واني لاذكر كيف خفت مرة ، حين شاهدت المقبرة المظلمة بظلال الصنوبر الكثيف ، فقلت :

« يا الهي ! ان هذه الظلال الممدودة السـوداء ، ترعـب الاحياء ، فكيف الموتى ؟

واخترت جدث اخيك الراحل قبلك ، ليكـون مثوى لك ، وكان قرة عين لك في الحياة ، فها انت قرة عينـه اليوم في الممات !

لم استطع ان اراك في نعشك الاخير .

وكل ما رأيته ذلك التراب الذي وارك عني الى الابد !

لقد جئت ازورك في عماية الصبح ، حيث يمشي الزائرون والزائرات أمثالي كالاشباح ، بين الارواح ، ووقفت على جدثك حانيا راسي ، مغرورقا بالدمع جفناي ؛ وكان التراب لا يزال نديا ، وقضب الريحان تهـتز يمنة ويسرة ، وعليك سرحة ممدودة تتمايل اغصانها مع الريح ، تنقل عصارة الاموات الى أعاليها ، وتحمل اعاليها نجوى الاحياء الى الراقدين على جذورها !

أهي وحدها ــ في مملكة الموت ــ رمز الحياة ؟

كل شيء في هذا السكون العميق يدل على انك تتكلمين .

وكل ما حولي ، يوحي الي بأنك حية ، تتحركين .

وما ذلك الا لانك كنت مؤمنة في الحياة بالحياة ، والحياة سرمدية أبدية لا تزول .

هذا شريط حياتك يمر امامي ، مذ كنت صغيرا ، حتـى صرت كبيرا ، على طريق طويل ، لا أحسبه اليوم الا قصيرا .

والايام التي نحسبها كثيرة ، طويلة في حياتنا ، تنكمش بعد الموت في لحظة واحدة !

في حياتك ، كنت أشعر دائما بانني لا ازال ذلك الطفـل الصغير الذي كان يدرج بين يديك .

لقد اصبحت والدا ، وامسيت جدا ، ولكنني بين يديـك ، لم اكن اشعر الا بانني ذلك الطفل الصغير دائما .

انت الام ، وانا طفلك الصغير !

اما كنت تقولين لي حين السفر :

« ضع معطفك عليك ! احذر البرد يا ولدي ! »

أم دائما امام طفلها الصغير ، وطفل صغير دائما امام امه الكـبرى ...

والان ، اصبح ذلك الطفل الصغير يتيما بدون أم .

ولا ادري : هل انا كنت ذلك الطفل ، ام انت كنـت تلك الطفلـة ؟

الا ما أضيق الحياة بدون أم !! .

خليل الهنداوي



الدكتور محمد رجب البيومي

ابن سينا والمريض العاشق

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

كانت شمس الظهيرة تشتعل في الصحراء اشتعالا يوقد الرمل ويلهب الصخر ، وقد أحس الرجل بشواظ حسار يلهب جسمه ، فيتصبب عرقا ساخنا ، ويجف ريقه فيجد به ملوحة مريرة ثم يدور بعينيه باحثا عن بئر دافقة بالماء فلا يجد غير الهجير المتقد يظمئه ويضنيه ، وقد هم ان يفترش الرمل الملتهب فيعجل بمصيره اليائس ، لولا أن لمح عن قرب شجرة ماثلة تظلل نبعا متواريا فتألقت عيناه بالفرحة ، واتجه الى الماء الفرات ، يبرد جوانحه ، ويكشف تباريحه ، ثم عن له ان ينزع ثيابه ويتبرد في الماء لحظات منعشة يستعيد بها نشاطه الذاهب .. حتى اذا بلغ مأربه نهض الى الظل الوارف فهيأ لراحته مضجعا آمنا ، واسلم جفنيه الى نوم عميق !! .

كان السائح المكدود في هم ناصب من شجونه وهواجسه ، فانطلقت احلامه تريه ما يتربص به مستقبله من الصعاب ، فيبصر السجون والاغلال تارة ، ثم ترجع به الى أمسه الباسم تارة اخرى ، فيرى نفسه وزيرا خطيرا في همذان ، يملك الامر والنهي ، ويحف به الحراس والحجاب ، حتى اذا غربت الشمس وداعبته الانسام الباردة ، هب من نومه ليجدنفسه وحيدا في العراء يسامره القمر وتحدثه النجوم .

ماذا يصنع الطريد الخائف في ليل الصحراء ؟ انه يستعرض تاريخ حياته ، فتمر بسمة باهتة على ثغره حين يتذكر صباه الغض ، وقد كان ممتعا به في قصر امير الدولة السامانية ، فهو طبيبه الحاذق ، يدفع عنه اذاة مرضه ، ويعد قائمة طعامه وشرابه ، فيزداد مكانة في قومه ، ويصبح الشفيع الاثير لدى صاحب الامر ، يسأل فيجاب ، ويتمنى فيحقق مبتغاه .

ثم يتابع ذكرياته ، فيستعرض جاهه في همذان ، ويرى كيف كانت وزارته معقد المنى لقومه ، وميدان السيطرة لنفسه ، وقد ترك له آل بويه كل سلطان ، فهو صاحب الكلمة العليا ، قرب وباعد ، واعز واذل حتى اذا قلب الدهر صفحته ، خرج هائما على وجهه ، ليجد نفسه وحيدا في الصحراء متنكرا في زي درويش بائس ، يلبس المرقعات ، ويطلق لحيته الكثة ، ويبحث عن الفتات التافه ، فلا يناله بغير المذلة والهوان !!! ثم هو بعد لا يأمن على نفسه ، فالموت يجثم له في كل مرصد ، تنطلق وراءه العيون ، وتتساءل عنه الجواسيس !! وقد اعدت المكافآت السخية لمن يأتي به ! فالى اين يصير ؟!

فكر ابن سينا ليلته في امره ثم راى ان يفر الى اصبهان ، فله بها أناس يعرفون مكانته ، ويقدرون مواهبه! ولعل شمسه الغاربة تتمخض عن فجر جديد ، تمتد خيوطه اللامعة شيئا فشيئا ، حتى يستحيل الى صباح قشيب .

سار ابن سينا في طريقه فاتى اصبهان بعد رحلة شاقة عسيرة ، ووجد من اصحابه الاكرمين من اعزوا وفادته ، فنزل لديهم أطيب منزل واهناه ، وكأن الاقدار كانت تختصر له طريق الحظوة فمرض نجل سلطانها العظيم « علاء الدولة » مرضا حير الاساة ، وادهش الناس وتساءل صاحب الملك عن نطاسي بارع يشخص الداء ، ويصف الدواء فتقدم ابن سينا وفي قلبه امل ، وعلى لسانه دعاء ! .

كان الامير المريض هزيلا نحيلا شحب لونه ، وغارت عيناه ، وتثاقل لسانه ، فما يطرد في حديثه الا تمتمات متقطعة لا تكاد تبين ، وقد فحصه الطبيب فحصا دقيقا ، فلم يجد اثرا للعلة العضوية في جسمه واستعان بخبرته الواسعة في عالم الطب ، فازداد يقينا بسلامة اعضائه وصحة بنيته فأخذ يتساءل عن هذا الشحوب الكالح وذاك الهزال الناحل فلا يجد سببا يستريح اليه في تعليله وتشخيصه ، وجال بفكره الثاقب جولة نافذة فعرف ان المرض نفسي لا جسمي .

ان المريض يرسل آهات حبيسة تمتد وتنقطع ، ثم يجول ببصره الزائغ في الحجرة كمن يبحث عن أمر بعيد .. فاذا اطبق عينيه الصق يديه بأحشائه كمن يحتفظ بشيء يوشك ان يطير !! .. أتراه قد احب فكتم ثم ثقل به الحب الكظيم ، فأورثه ذلك الشحوب المرير !! لا بد من سبر دقيق لاغوار نفسه ، فقد ينجلي السر الكمين .

وجاء علاء الدولة الى الطبيب يسأله الرأي فيما شاهد وعاين ، فابتسم ابتسامة هادئة ، ثم قال له : « سأطلب منك يا مولاي شيئا تعده غريبا في موضوعه . ولكني مصر عليه » فقال علاء الدولة في هدوء : « لك ما تريد » فصاح ابن سينا : « اريد اجابة شافية عن ثلاثة اسئلة متقطعة كل سؤال في يوم » فقال السلطان : « ومن يجيبك ؟ » فقال الطبيب : « انسان خبير بمنازل اصبهان وشوارعها وساكنيها من رجال ونساء » فابتسم علاء الدولة وقال لصاحبه : « انتظر قليلا في مكانك فسأبعث اليك بمن تريد !! » .

ولم تكن غير لحظات حتى نظر الطبيب ، فوجد شرطيا كبيرا يتقدم اليه فيقول : « لقد بعث بي مولاي اليك ، وانبأني أنك ستعقد لي امتحانا في مدى ثلاثة أيام ، ترفع نتيجته اليه ، فلعلي أحوز قبولك ان شئت . » فأدرك ابن سينا ، ما يتردد في صدره من الهواجس ، فمازحه قليلا وطيب خاطره ، ثم قال له : « أريد شيئا يسيرا !! اريد أن تكتب لي أسماء شوارع أصبهان في ورقة !! فهذا اول سؤال ! » .

تعجب الشرطي بعض الشيء !! ثم اخرج ورقة من جيبه ، ودون اسماء الشوارع ، وقدمها الى السائل فشكره ، ورجاه أن يحضر من الغد ليجيب على سؤال جديد !! وما كاد الطبيب يلم باجابة صاحبه حتى انتقل الى حجرة الامير المريض وبدأه بالتحية ، ثم ازاح ملابسه ، ووضع يده على صدره ، متسمعا ضربات قلبه ، واخذ يتلو اسماء الشوارع شارعا فشارعا ، فوجد الخفق يتوالى ويضطرب عند شارع معين ، فأسره في نفسه ، وتنقل بالحديث الى ناحية ثانية ثم ودع المريض .

وفي اليوم الثاني جاء الشرطي فطلب اليه ابن سينا أن يكتب أسماء أصحاب المنازل الذين يقطنون في الشارع المعلوم ! فتعجب الرجل كعجبه اول مرة ، وصدع بالامر كما أراد الطبيب ، ثم سار الى شأنه ، وفي نيته أن يعود غدا للمرة الثالثة ليفرغ من امتحانه الغريب !

اما الفيلسوف فقد سارع الى المريض ، وجاذبه أطراف الحديث ، ثم ازاح ملابسه ، ووضع يده المرهفة الحساسة على صدره وأخذ ينصت الى ضربات قلبه ، قارئا ما لديه من الاسماء فوجد الخفق يعلو دراكا مضطربا عند سماع اسم معين ، فأدرك طلبته ، ولم يشأ أن يشغل الامير بظن مريب ، فأفهمه انه يبحث عن مرض عضوي في صدره وسيبرأ منه عن قريب !

وفي اليوم الثالث جاء الشرطي فطلب اليه أن يكتب أسماء الانسات ممن يسكن هذا المنزل ، فأجاب على السؤال في دقة ، وأعلن الطبيب براعته في تأدية امتحانه ، فخرج دهشا لا يدري أيهزل أم يجد مع هذا الطبيب الغريب !! ولكن ابن سينا يطير الى المريض في سرعة عاجلة ، ويأخذ في مسامرته بعض الوقت ، ثم يضع يده المرهفة موضعها من صدره ، ويتلو أسماء الانسات فيخفق الامير خفقة تتبعها شهقة اذ ينطق الطبيب باسم « رباب » ثم يندفع في بكاء أليم !! .

واذن فقد عرف الطبيب سر مريضه !! فاتجه الى علاء الدولة ، واخبره بما اهتدى اليه ، فأطرق السلطان مليا ثم قال : « أتدري أن رباب خطيبة أخيه !؟ » فقال ابن سينا : « ولذلك كتم حبه في نفسه كي لا يتحرج الموقف بين الشقيقين فآل به الكتمان الى مرض مميت !! »

زفر السلطان زفرة حارة ، ثم سأل ابن سينا : « كيف نخرج من هذا المأزق العجيب ؟ » .

فقال الطبيب : « نريد أولا أن نتأكد من حب رباب الامير المريض !! » .

فسكت السلطان على غيظ ، ثم قال : « ومن يستطيع ان يدرك خبايا القلوب !! » فأجابه ابن سينا : « من ادرك قلب الامير » .

أعلن علاء الدولة رغبته في زيارة رباب وقد اصطحب معه طبيبه الماهر فلما مثلت بين يديه ، أثنى السلطان كثيرا على أدبها وجمالها !! ثم أشار الى ابن سينا قائلا : « هذا جوهري حاذق سيصنع لك سوارا ذهبيا ، وقد أتيت به ليأخذ مقاس ساعدك الجميل » !! ثم طلب منها أن تمد يدها اليه فوضعها الطبيب بين أصابعه الحساسة وهتف السلطان باسم فتاه المريض ، تنفيذا لخطة وضعها الطبيب ، فلاحظ ابن سينا ان نبض الساعد قد اخذ يعلو ويضطرب منبئا عن احساس حاد يعصف بصاحبته ، فترك يدها وقد أحاط عن يقين بما يضطرم في قلبها من حب عنيف !! فنظر الى السلطان طويلا ، وانسحبت رباب فأفضى اليه بسرها الخطير ! ولقد وضح اللغز المحجب بين قلبين ذائبين ، فكيف ينقذ علاء الدولة مريضه دون أن يخدش كبرياء اخيه !! انه ترك الامر لزوجته فهي والدة الشقيقين وعليها ان تتلمس الحل اليسير !! .

وفي أمسية هادئة استدعت الام الحنون خطيب رباب فخف اليها وفي وجهه غيوم تتجمع وتتفرق ، وفي عينيه ذهول شارد ! فصاحت به :

ـ علام يرهقك التفكير يا بني العزيز ؟

فقال الامير :

ـ أماه : اني أفكر في فراق رباب !!

فانتهزت الام هذه البادرة وقالت :

ـ ولم يا بني ؟ فأجاب في حيرة :

ـ لم تعد تخف الى لقائي كما اريد !! وتنتحل شتى العلل كي تفر الى بعيد !

فقالت الام :

ـ لعل لها عذرا .

فقال الامير :

ـ لا يا أماه ، لقد علمت انها تتضايق كثيرا ، حين يذكرها بي متحدث ! وبالامس قامت من النوم فزعة ،

الرسالة الثالثة

روحي على الشام ما تنفك حائمة شوقا اليك وفي الشهباء جثماني
كأنها طائر غابت أليفته فطار في الجو يدعوها بتحنان
فلم تجبه وأمضى يومه جزعا يهوي ويصعد من عال الى داني
فتارة بين آكام وأودية وتارة فوق أشجار وغدران
كأن أصواته في الجو حشرجة مما يعانيه من هم وأشجان
وما درى ان طيرا جارحا لحما قد صادها وهي تبغي عشها الهاني
حتى اذا البحث أعياه وحطمه ياس وأقبل ليل المتعب الواني
مضى الى دوحتين قد تشابكتا زهرا بزهر وأغصانا بأغصان
وحط حيث رآها أولا وشكا لها الغرام وناجاها بالحان
وضم فضل جناحيه على جسد واه ومات ولم ينعم بلقيان

كأنني ذاك أو قد مسني خبل من سحر عينيك عناني وأضناني
أهفو اليك على بعد ويحزنني ان يملك الحسن يوما غير فنان
لا يعرف الحب الا حاجة عرضت ولا يرى في الغواني غير ابدان
ولا يطيق صعودا فوق عالمه الى نجوم بعيدات وأكوان
وحامل النور بين الناس مطرح قد أنكرته البرايا أي نكران
يرى الجمال بعينيه ويحرمه ولا يقر على ياس وحرمان
فقلبه يتلظى في جوانحه كأنه حمم في جوف بركان
وكم شدا من اغان فيك ساحرة تبقى على الدهر ما كر الجديدان
حب وبعد أقاسي منهما عنتا يا طيب حسنك أحياني واشقاني

حلب عمر ابو قوس

وصاحت : « لا اريده ، لا اريده » ثم أجهشت ببكاء مرير !! .

قالت الام :

ــ وماذا يقول الناس حين نتركها وقد علموا انها خطيبتك المصطفاة !!

قال الامير :

ــ ليقل الناس ما يقولون !!

فأجابت الام :

ــ لا بد ان نحفظ سمعتها في المدينة ، فاذا صممت على رفضها فهي لاخيك !

نظر الامير في اكتئاب وصاح :

هي له اذا اراد .

أسرعت الام ، فأصطحبت زوجها الى المريض ، وبشرته بالنبأ العظيم ، فانتفض انتفاضة مدهشة وسقطت دموع الفرحة من عينيه ، وترقرق دم البهجة في وجنتيه الشاحبتين ثم صاح بوالده : ــ من حدثك عن سري يا أبتاه ! وهو في صدري سجين حبيس !! ؟ فقال علاء الدولة متضاحكا : ــ لقد أطلقه ابن سينا من محبسه فمزق الاغلال والقيود . قال الامير : ــ وهل علمت رباب ؟ انقذوها فقد آن ان تستريح !! .

الفيوم ــ دار المعلمات محمد رجب البيومي



بقلم عيسى الناعوري



في جناح النساء في أحد مستشفيات الامراض العقلية ، رايت اصنافا من البشر يبدو لي انها « تنعم » بألوان من البلاهة تبين حقيقة انسانية الانسان حين يتعطل عمل العقل ، وبعيش الانسان انسانيته ـ الخيرة او الشريرة ـ بالفطرة البريئة وحدها . أتراها بهيمية الانسان عندما يفقد عقله الواعي ؟

يخيل الي أنها شيء بين البهيمية والانسانية ، بل لعل البهيمة تملك السيطرة على تصرفاتها الى حد ما ، بينما لا يعود الانسان يملك السيطرة على تصرفاته حين يصبح آلة تدور بعيدا عن سيطرة العقل وادارته وتنظيمه ، ولا يعود يعرف الخجل من تصرفاته مهما بلغ من غرابتها .

كانت لي في المستشفى قريبة أكملت مدة علاجها ، وقد ذهبت الى هناك لكي أعود بها الى البيت . وحين دخلت البهو العريض الواسع رايتها تجلس في أحد الصالونات الانيقة المترامية في جوانب الممر الطويل . وكانت تجلس معها نساء أخريات : واحدة تقرا كتابا ، وثانية تطالع صحفا امامها ، وفتاة في نحو الثامنة عشرة تعزف على البيانو ، وثلاث عجائز يتحادثن حديثا عاديا في جو عائلي .

الفتاة التي كانت تقرا كتابا نحيلة الجسم ، سمراء الشعر ، واسعة العينين ، ساهمة الوجه في كآبة شديدة . وكانت عيناها ما تكادان تهبطان على الصفحة المفتوحة امامها حتى تعودا فترتفعان عنها في ترقب وقلق . فما ان راتني مقبلا حتى القت الكتاب من يدها على طاولة امامها واقبلت تلقاني في لهفة . وقبل ان ادخل الى الصالون كانت قد امسكت بذراعي ، ورفعت نحوي عينين ضارعتين ، وبادرتني تقول بالفرنسية :

ـ مسيو ! هل تتزوجني وتأخذني معك الى فرنسا ؟ سأكون خادمتك ! سأعطيك كل حبي ! سأكون عبدة لك ! هل ستأخذني الى فرنسا ؟

وفوجئت بهذا اللقاء ، ورحت أنقل عيني الحائرتين بين الفتاة التي تتوسل الي ضارعة ان أتزوجها وآخذها الى فرنسا ، وقريبتي التي نهضت واقبلت نحوي من الصالون بخطى وئيدة مترددة . واخيرا قلت للفتاة المتعلقة بي مترفقا :

ـ آسف يا آنسة ! ولكنك ستجدين غيري أفضل مني ، وسيتزوجك ويأخذك الى فرنسا .

فانصرفت الفتاة عني كسيفة وعادت الى حيث كانت تجلس من قبل ، وتناولت الكتاب من جديد متجهة بوجهها دائما نحو الباب الذى كنت قد دخلت منه .

وقالت لي قريبتي : ـ مسكينة ! هكذا تفعل مع كل رجل يدخل الى المستشفى .

ومن نافذةعريضة في طرف الممر ، مغلقة بقضبان حديدية ، وتطل على البحر ، جاء صراخ سيدة : « ها هو يعود ! آه يا حبيبي ! انه يعود الي من الكنيسة متأبطا ذراع عروسه في ثياب الاكليل البيضاء ! » .

وتركض السيدة ملهوفة مضطربة بين النافذة ووسط الممر ذاهبة آئبة ، وعيناها تحملقان في اتساع غريب ، ويداها تشيران الى البحر البعيد : « ها هو ! عروسه معه في ثياب العرس البيضاء ! » .

ونظرت الى قريبتي متسائلا ، فقالت وهي تسير الى جانبي نحو الصالون : « لقد غرق ابنها في البحر قبل زفافه بيوم واحد ، وعمره اثنان وعشرون عاما » .

وفي الممر الطويل كانت سيدة بدينة سمراء ، فارعة القوام ، تذرع الممر ذاهبة آئبة ، لا تتعب ولا تمل ، ولا تنتبه الى شيء مما يدورحولها : تسير الى احد طرفي الممر ، ثم تعود ، حتى اذا ما وصلت الى منتصفه استدارت نحو الجدار حيث تتدلى ايقونة كبيرة للسيدة العذراء ، فتركع امامها وتأخذ في الصلاة ويداها متشابكتان مرفوعتان الى فوق ، نحو الايقونة ، ومسبحة طويلة كبيرة الحبات تتدلى من بين أصابعها المتشابكة على ذراعيها العاريتين حتى أعلى الكتفين . ثم تنهض وتكمل ذرع الممر الى الطرف الآخر .. ثم تنقلب عائدة حتى تصل الى منتصف الممر ، فتجثو من جديد امام ايقونة السيدة العذراء ، وهكذا طول النهار ، لا تكف عن ذلك الا في مواعيد الطعام والنوم ، حين تجيء الراهبات ليأخذنها في رفق وأناة الى المائدة او الى السرير ، ويمضين في مسايرتها كالاطفال حتى تفرغ من طعامها او حتى تغمض عينيها بتأثير حقنة مخدرة او حبتي دواء منوم .

كانت مشيتها عصبية : جريئة وسريعة . وكانت تسير وهي تتلفت كالحصان المذعور الى اليمين والشمال ، بعينين فيهما رعب ، واستغراب ، وشيء اخر لم أستطع ان اجد له وصفا حقيقيا : لعله التحدي ، او لعله الحقد والكراهية ، او لعله الرغبة في التحطيم والتدمير .. ولكن نظراتها العصبية كانت تهدأ وتتحول الى صلاة ضارعة ، ولكنها

متكبرة متحدية كذلك رغم ضراعتها ، حين تصل الى ايقونة العذراء المتدلية على الجدار في وسط الممر الطويل.

ولم احاول ان اتحدث الى السيدة ، فقد قالت لي قريبتي انها لا تطمئن الى الحديث مع احد غير الراهبات اللائي يعنين بها بمنتهى الرقة والرفق .

وفي الصالون كانت تجلس سيدة جميلة هادئة ، في نحو السابعة والثلاثين من العمر ، تطالع صحفا فرنسية . وهمست قريبتي في اذني بعد ان جلسنا في الصالون : « انها سيدة ايطالية تجيء الى المستشفى من حين الى اخر في مواعيد معينة يكون فيها القمر في تمامه ، فتقضي هنا اياما لا تخرج فيها في المساء لئلا ترى القمر الذي تكرهه » !

— تكره القمر ؟! حكاية لطيفة دون شك ، ولكنها لا تسر الشعراء ...

— ان زوجها يجيء ليزورها كل يوم ، ويبقى معها حتى المساء . وهي هادئة ، عادية السلوك ، الا اذا ذكر القمر امامها ، فعند ذلك تضطرب ، وتحملق عيناها مذعورتين ، ويرتعش جسدها كله من الخوف .

وشعرت بأنني انظر الى السيدة دون ارادة مني . وقالت قريبتي : « لم نستطع ان نعرف سبب كراهيتها القمر وخوفها منه . الطبيب نفسه ما يزال حائرا رغم المرات العديدة التي جاءت فيها الى المستشفى للعلاج » .

والتقت عيناي صدفة بعيني السيدة ، فابتسمت وحييتها بايماءة من رأسي . فردت بدورها على التحية بابتسامة ، ثم سألت :

— أانت شقيق الانسة ؟

— بل قريبها . قلت هذا بالايطالية .

فهتفت السيدة مسرورة : — آه ! وتتكلم الايطالية ! كم انا سعيدة لهذا ! اتاذن لي بالجلوس معكما ؟

وقبل ان اقول لها : — « تفضلي .. بكل سرور .. » كانت قد نهضت واقتربت من مكان جلوسنا ، ثم أخذت مكانها بيني وبين قريبتي . وقالت وهي تصافحني :

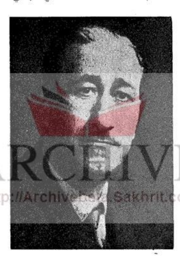
— اسمي جانا ... السيدة جانا غاندولفي .

— تشرفنا . واسمي سعيد . وقريبتي ...

فلم تدعني أكمل الاسم بل قالت :

— نحن صديقتان . منذ اسبوع ونحن نعيش معا هنا ، نتسلى معا في النهار ، ونتأمل آلام الاخريات بكثير من الالم لاجلهن .

ثم تابعت قائلة : — انني اجيء



عيسى الناعوري

•

الى هنا كلما احسست بالضيق النفسي . في هذا المكان الهادىء ، المنعزل على قمة الجبل ، والمطل من علو شاهق على البحر الفسيح الازرق ، والغارق في خضرة الصنوبر من قمته الى حدود البحر تحت قدميه ، أهرب من نفسي ومن شيء آخر يلاحقني ...

وخفضت رأسها في حزن خائف ، ولم تكمل كلامها . فقلت :

— أي شيء آخر تعنين ؟ هل لي أن اسأل هذا ؟

وغمزتني قريبتي سرا ، كأنما تريد ان تقول لي : — ليتك لم تسأل هذا السؤال !

وابطأت السيدة في الجواب قليلا . فأدرت عنها عيني آسفا ، ورحت انظر الى قريبتي نظرة تحمل معنى الاعتذار والاسف . وبعد لحظات قالت السيدة جانا دون ان ترفع رأسها : — انني اكره القمر ! انه عدوي الوحيد في الحياة ! .

وصمتت قليلا . ثم رفعت رأسها ونظرت الي نظرة فيها ذعر وتحد وحقد ، وقالت :

— انا سيدة متزوجة ، سعيدة كل السعادة ، وزوجي يحبني ويبذل لي كل مساعدة ورعاية . الشيء الوحيد الذي ينغص سعادتي هو القمر ! اذا أطل علي من نافذة احسست بأن لصا خطيرا يجيء ليسلب سعادتي ! ولذلك أكرهه .. أكرهه .. اكرهه ! ..

فقلت الطف من ذعرها ، وانا ابتسم واربت على كتفها :

— انا آسف يا سيدتي . ولكنني استغرب ان يكون هذا شعورك نحو القمر ، وكأنك لست ايطالية !.

— لست ايطالية ؟ ! ماذا تعني ؟ وما دخل هذا بكراهية القمر ؟

فقلت : — معذرة مرة اخرى ! ولكن هل قرأت شيئا من شعر شاعركم العظيم ليوباردي ؟

فأجابت بعينين واسعتين مستغربتين : — ليوباردي ؟ طبعا ! ومن لا يعرف ليوباردي العظيم ؟

فقلت : — اتذكرين كيف يصف ليوباردي القمر في قصيدته « مساء يوم العيد » ؟ اسمعي :

الليلة صافية حلوة ، ولا رياح فيها .
وعلى السطوح ، في وسط الحدائق ،
يستريح القمر ساكنا منعشا . ومن بعيد
تبدو جميع الجبال في أتم صفائها .
فيا سيدتي الحبيبة ! لقد صمتت الدروب كلها ،

عيناك

★

عينان ، أم اسطورتا عطر ، أم عالمان من الهوى العذري
تتلفتان ، فينتشي وله ، ويهيم في غيبوبة العمر
النرجس الوسنان حلمهما والزنبق المغموس في السحر
برئت من السؤات غمزته فالطهر يسري أينما تسري
ويرف جفن ، فالدنى ظمأ لرفيف جفن ناعس يفري

عيناك أدري أن بوحهما حب ، وأي الحب ؟ لا ادري
وتغربين الطرف تائهة ، فيتيه صب ، موجع الفكر
من ذا معلمك الهوى مرحا ، لولا يعلمني على الصبر

أحببت في عينيك دلهما وبراءة تختال بالطهر
أحببت أحلاما بلمحهما أشتاقها في السر والجهر
فكأن كل تلفت غنج أرجوحة للثغر والنحر
ولأنت عطر الزهر أنشقه ، فأفاضل بين العطر والزهر

فوزي عطوي

وفي الشرفات ، من خلال النوافذ المغلقة ،
يطل المصباح السماوي ناعما خجولا ..

وفي شبه هذيان ، أو خدر لذيذ ناعم ، رددت السيدة : « يطل المصباح السماوي ناعما خجولا ! » ثم همست : « ليوباردي ! »

فتابعت الضرب على الوتر عينه الذي رأيته اصاب السيدة بهذا الخدر الحلو :

أوتذكرين ايضا ما قاله في قصيدة أخرى عنوانها « الى القمر » ؟ اسمعي ما يقول :

ايها القمر الجميل ، انني لاذكر الان،
وقد انطوى عام اخر من عمري، انني
كثيرا ما جئت الى هذا التل مثقلا
بآلام نفسي
لكي أشاهد بهاءك .
وكنت تتدلى دائما فوق هذه الغابة،
كما تتدلى الان ، وتغمرها بالضياء .
... يا قمري الحبيب !

وفجأة نهضت السيدة متهللة ، امام استغراب قريبتي ودهشتها ، وطوقتني في فورة عجيبة وهي تقول :

ـ سأقبلك قبلتين : واحدة لك والثانية لليوباردي ! .. لقد ادخلت في نفسي نورا حقيقيا ...

ثم كأنما أحسست بأنها اتت امرا يستوجب الاعتذار ، فالتفتت نحو قريبتي وقالت :

ـ معذرة ! كان الامر أقوى من ارادتي ! ..

فقلت : ـ المهم ان تزول كراهيتك للقمر ، لئلا يغضب ليوباردي ! .. هل استطيع ان اعتقد انها زالت ؟

فنظرت الي وفي عينيها دمعتان تهمان بالسقوط ، وعلى ثغرها ابتسامة عريضة تجمع بين الغبطة والبكاء . وهزت رأسها الى اسفل هزتين متتاليتين وهي تجيب من بين أسنانها :

ـ ايه ! ...

عمان ‏ ‏ ‏ ‏ عيسى الناعوري

اصـــداء

بقلم اديل الخشن

★

أراه ،
ويفرح قلبي ، يكبر
ويتوارى عنه الضباب ..
حياتي كلها تفيء اليه
تنداح مع وهج نبضاته
بخورا لاهثا على اهدابه

كـان خيطا دقيقـا
يبص كحشرة القطرب
في ليالي تشرين
اعطيته من كياني فتوقد
كنت وراءه كالدخان
الذي يواكب تحليق الطائرة
كنت وقوده
احترق ليضيء ،
وانتهي ليبـدأ .

وكان مصباحا هادئا
نـوره يعلـو
مع كل زفرة من صدري
زيته يندفـق ،
بعد كل نبضة في قلبـي
يلتهم اكداس العتمة حولي
ويشلح على الليل
انفاسا بيضـاء .

غمرتني فرحة مرنحة وانا احضنه
ضوءا سـاطعا
يتجذر في اعماقي
جائعا يتلهف ... اطعمه خفقاتي
ارنـو اليـه ،

فيتالق المجـد في عيني
وينتشي الاعتزاز على فمي .
ارقبه يتصاعـد
فأستطيب الغنـاء
وانصهر بالليـل ،
لاراه يكحل الشروق .

وهبت رياح قويـة
تراقص لها مصباحي
كانت السنة الضوء تتطاول
تحاول الانفلات من الزجاجة
تريد معانقـة الفضاء
الدخول في اللامحدود ...
الريح تنفـخ فيهـا
وتدفعهـا بهوس
خصلات الضوء امتزجت
مع خيوط الدخـان
وخشيت ان يطفأ النور المشع
ان يحجبه عن عيني
سـخام متراكم ،
فانحنيت ادرأ عنه اللفحات
اظلله بالاجفان
واكتم نداء الامواج ..
كنت كالفراشة ،
ادور واندفـع
لاحتجـز الضوء
وافنـى فيـه .

الدخان يخز عيني
يطلع منهما الليل ،
قلبي يلفه الغروب
ينغلـق كالصمت ،
المسافر على رؤوس الاجنحة ،
ويبقى مصباحـي
يتراقص في جنون !
عـد الـي ...
يا لهبا شرد من انفاسي
يا فجرا افتح عيني على لمساته
يا ضوءا يبهرني
ويفجر دموعـي ! .

الشويفات ــ لبنان — اديل الخشن

لذكرى العقاد

مهداة الى ابن أخيه عامر العقاد والى صديقه طاهر الجبلاوي

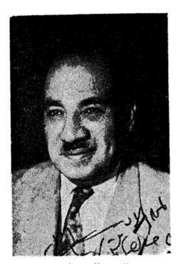
★

ماذا صنعت بفنك الهامي — بعد الحياة بعالم سامي
يا ليت تملك فيه قائلة — لتجول في طرس وأقلام
كتب مئين تركت مجمعها — يحيا بذكرك كر أعوام
غالبت دهرك في خوالدها — أسفار آداب لعلام
من كل لون في الحجى سمقت — آثاره آيات احكام
« العبقريات » التي بزغت — من شمس عقلك ذات الهام
والسيرة الغراء نافحة — عهد الرسول بفيض اعظام
ومن الصحابة كل وارفة — بعوارف تاريخها نامي
نسج الزمان على بواقمها — أبراد أفراح وآلام
والشعر كنت بعطره عبقا — أطلقت فيه جناح دوام
أغنيته فكرا ومعرفة — وبطبع جود غير نظام
أما الخلاق فكنت حاليه — من دون ما دس وآثام
ما قيمة الأدب المهين وما — جدوى الدنا يا قيد أفهام
قد عشت في بحر لواطمه — نقد عليه جلادك الدامي
تبني وتهدم للعلى مثلا — وسواك ينقد نقد هدام
ملء الصفينة قلبه وله — نفثات تحريق واعدام
يمضي الخصوم كما مضيت ولا — يبقى سوى حق هو الحامي

البستني (عباس) تكرمة — فكتبت في جميل انعام (١)
أوجدت حسادي وان لهم — فضلا علي بصفو أيامي

(١) اشارة من المحاسني الى المقال التحليلي الضافي الذي كتبه العقاد عنه لكتابه «شعر الحرب في أدب العرب» في كتابه « أشتات مجتمعات في اللغة والادب » طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ .

دمشق — زكي المحاسني



انـور الجنـدي

نـدوة أحمـد حسين

بقلم انور الجندي

* * *

عفا الله عن استاذنا « احمد حسين » وكتب الله له الشفاء والعافية ، وكشف عنه الضر ، واعاد اليه موفور الصحـة لتتجدد ندوته الطريفة العامرة بالشـخصيات اللامعـة ، والتي سعدنا فيها بلقاء عدد من الاعلام :

الاساتذة الشيخ أبو زهرة وموسى صبري واحمـد الشرباصي ومحمد صبيح وخالد محمد خالد ومحمود جبر والدكتور بدران وعبد العزيز الدسوقي وغيرهم كثـيرون ادباء ومحامون وعلماء ، ورجال كثيرون قدموا من مختلف انحاء العالم والجامعات الغربية يدرسون مصر بين الحربين وسعوا الى مجلسه يستمعون منـه التاريـخ الحـي ، ويراجعون معه صفحات من حياة مصر في الثلاثينات عندما لمعت في سمائها مشروع القرش ومصر الفتاة وجريـدة الصرخــة .

ومن الاستاذ احمد حسين استمعنا الى ذكريات عن اصدقائه الثلاثة الكبار عزيز المصري وصالح حرب والدكتور احمد علوش الذي كان يغشى الندوة كثيرا في ايام السبت منذ عام ١٩٦٥ حتى توفي الى رحمة الله في العام الاسبق .

ويحمل « احمد حسين » على اكتافه تاريخ طويـل يمتد منذ شارك في ثورة ١٩١٩ يافعا صغيرا ثـم بـرز تبريزا في عام ١٩٣٠ وهو ما زال طالبا في الجامعة ومعه فتحي رضوان ومحمد صبيح وحافظ محمود ، وجيـل كامل شارك معه في تلك اليقظة التي عرفتها مصر في هذه الفترة مجددة حياتها الفكرية والسياسية بعد ان ضعـف نفوذ الاحزاب السياسية وتكشفت عن تخلف عن مستوى المسؤولية الوطنية ، فكانت مصر الفتاة احدى الصيحـات العالية : المصرية والعربية والاسلامية .

وما زال أحمد حسين منذ الثلاثينات يتدفق خطابة وندوة وكتابة ينتقل من مرحلة الى مرحلة ، ومن حلقة الى حلقة من حلقات الفكر السياسي والاجتماعي ، والثقـافة الروحية والعقلية .

وهو منذ الثلاثينات لم يتوقف ولم ينقطع عن العمل ، في مجالات مختلفة ، وفي كل مجال من هذه المجالات قدم خلاصة فكره وعصارة روحه ، ونبض عقله ووجدانه معا ، واذا كان لنا ان نرصد هذه المراحل فاننـا نسميها علـى التــوالــي :

« المرحلة الوطنية ــ المرحلة الروحيـة ــ المرحلـة الانسانية ــ المرحلة الاسلامية » .

فقد بدأ حياته مجاهدا وطنيا يحاول ان يبني لقوميته وامته نهجا جديدا من الحياة السياسـية والاجتماعية ، بعد ان اضطربت هذه الحياة حين تخلف عنصر « الايمان » فيها وبرز الساسة في الثلاثينات ، وقد تخففوا من قيـم الاخلاق والاسلام . حتى ليمكن القول بأن الدعـوة الـى « المصرية » التي قادها احمد حسين ــ اذ ذاك ــ كانـت تصحيحا اصيلا لمفهوم (المصرية) ومحررا لها من دعوات تريد ان تربطها بالفرعونية والوثنية ، ووضعها في مكانهـا الطبيعي ، باعتبار مصر جزءا من الامة العربية في اطـــار العالم الاســلامي .

فالدعوة الى المصرية قبله كانت دعوة اقليمية فرعونية مفرقة في الانحراف وتجافي الارضية الاسلامية العربية ، أما هو فقد اعادها الى مكانها الاصيل : مصر التي تتصـل بجذورها العربية الاسلامية ، وتلك رسالة جوهرية ونهج هام في طريق حركة بناء الفكر العربي خلال تلك المرحلة ، هذا مع دعواته الى الجلاء والحياة وبناء الوطنية على قاعدة الايمان والاخلاق والدين .

ثم لم يلبث « احمد حسين » ان طور فكـره مـع الاحداث وحاجات الامم فاهدى لها مفهـــوم « العـــدل الاجتماعي » والبناء الاقتصادي القائم على العلم والعمـل والمتصل بمفهوم الاسلام ، ثم خطا خطــوة اخرى في مواجهة حملات المادية والالحاد ، فقدم كتابــه الضخـم « الطاقة الانسانية » وفيه يكشـــف اسرار العلـم وادق دقائق « التكنولوجيا » ويردها الى مصادرها الطبيعية في مفهوم المؤمنين بالله ، ثم لا يلبث احمد حسين ان يتجـه الى مفهوم « الانسان » نفسه كعامل جامع للامم والشعوب ، ستصل اليه الانسانية حتما بعد ان تتخلص من صراعاتهـا

واوهامها ، فارسل صيحته العميقة في كتابه الضخم الثاني « الامة الانسانية » .

ثم وصل سريعا الى الغاية التي كان لا بد ان يصل اليها منتهيا من حيث بدأ حيث كتب كتابه « الاسلام ورسوله بلغة العصر » ذروة لفكره وعصارة لايمانه بالله وبالاسلام .

وكان في أيامه القريبة وقبيل مرضه الذي يقدم اليوم بعون الله منه الى العافية ، غارقا في كتابة زبدة مشاعره وعقله : « محمد نبي الانسانية » .

* * *

في ظلال هذا الجو الذي عاش الاستاذ احمد حسين فيه سنواته الاخيرة التقينا في ندوته امسيات السبت منذ عام ١٩٦٥ حين كان مشغولا بكتابة ثلاثيته : « ازهار ، الدكتور خالد ، واحترقت القاهرة .. » التي صور فيها تجربته السياسية منذ عام ١٩٣٢ الى ١٩٥٢ تقريبا .

واني لاذكر كيف لقيت الاستاذ احمد حسين في دار الكتب في اواخر عام ١٩٦٣ يراجع الصحف اليومية فترة الحرب وجرى بيننا حديث عن السر في اختياره هذا المنهج في كتابة تاريخ مصر خلال هذه الفترة ، التي لم يؤرخ لها بعد ، وقد توقف العقاد عند سعد زغلول حتى وفاته سنة ١٩٢٧ وتوقف الدكتور هيكل في مذكراته حتى عام ١٩٣٦ وكتب عبد الرحمن الرافعي تاريخ هذه الفترة في كتابه « في أعقاب ثورة ١٩١٩ » .

وبقي ان تكتب هذه الفترة على نحو يكشف عن جوانب الصورة من وجهة نظر الذين شاركوا فيها فعلا ، وكان لهم في احداثها دور ، فلا شك ان دراسة هذه الفترة ضروري لفهم العوامل الاساسية التي من اجلها برزت الثورة المصرية العربية الكبرى التي انبعثت عام ١٩٥٢ وقد استطاع احمد حسين ان يقنعني بأن كتابة تاريخ مصر على هذا النحو الفني الذي اختاره في ثلاثيته هو النهج الاصلح وقد ارتضاه لأمرين :

الاول : ان القصة هي الفن الذي اختاره كبار الكتاب العالميين في اعطاء الاحداث التاريخية قوة الحياة في اطار صورة انسانية كاملة .

الثاني : ان المذكرات السياسية لا تلقى من القراء من يعنى بها الا صفوة قليلة من الباحثين ، اما القصة فانها تجد مجالا واسعا بين الشباب ومن الحق ان يقال ان تجربته الواسعة ، وعمق فهمه للاحداث ، من تحويل عصارة هذه المرحلة التاريخية الى عمل « احمد حسين » فتى ، ولعل مما يضيف الى هذا العمل اهمية كبرى ، ان المؤلف كان احد الاشخاص المتحركين على مسرح الاحداث نفسها ، وانه لم يكن مشاهدا يجلس بين صفوف النظارة ، وان الاحداث قد اطبقت اخيرا عليه من خلال ازمة من اضخم الازمات هي حادث « حرق القاهرة » .

ومن خلال ندوة الاستاذ احمد حسين كانت المناقشات تجري رخاء ، حول مفاهيم الادب والتاريخ والقصة والفن والمؤلفات العالمية والعربية الحديثة ، وكان صاحب الندوة كثيرا ما يقرا لنا مقالاته او فصولا من ثلاثيته ، ويطالبنا بأن ننقد ونبدي الراي ، وشهد الله لقد كان سمحا اذ كان كثيرا ما يتقبل ملاحظاتنا ، ونحن تلاميذه ، ويعدل ويحور ..

ومن حق ان هذه اللقاءات قد أتاحت الفرصة للتعرف عن قرب الى شخصية عريضة ، فيها قدرة عجيبة على التطور والحركة ، مصممة على ان تحيا الحياة كاملة خصبة ، فهو عقل مفكر لا يكف ، واحساس نابه لا يتوقف، ولا يجد نفسه منفصلا عن الحياة ، او متجمدا من خلال نظرية او رؤية ، لا ينعزل ابدا عن موكب البشرية او تطورها ،وهو متطلع دوما الى الفكر الانساني ، سائر معه، يحاول ان ينقل منه لأمته ، منذ عرف الطريق الى العمل من اجل الوطن .

اما جذوره واسسه فهي واضحة قائمة لم تتغير ، انها مصدر هذه الحركة وهذه الحيوية ، فهو مؤمن بمصر والاسلام ، مؤمن بأن هذه الامة التي قادت الانسانية في فجر الحضارة اعظم مكانة من اكبر الدول العالمية اليوم شهرة ، ومن هنا فهي لا تزول ، ويجب ان تاخذ مكانها الحق ، وهذا الايمان عزه مرتبط بمفهوم « الانسانية » المستمد من خلفية الفكر الاسلامي اساسا ، اخاءا وحرية وايمانا بالله ، من خلال العلم والعقل دون ان يجعل للتهويسات او الظلال .

فوضوح الرؤيا عنده يجعل قلبه دائما مساويا لعقله، ان عاطفته الكبيرة الجياشة تدفعه في قوة ، ولقد كانت تدفعه قديما في عنف ، ولكن الايام راضته فوضع مشاعره وعواطفه ، في ضوء العقل ، واقتنع بها . ومن ثم فليس لديه صراع بين العقل والقلب ، ولكنه يعيش بهما معا ، اما اعماقه فهي أعماق المصري العربي المسلم الاصيل : ومشاعره وتصرفاته مهما تغلفت بمفاهيم تولستوي الذي يحبه ، ذات جذور عميقة بالاسلام ، ومفاهيم هذه الامة في أعماق ضميرها ، فهو اصيل اصالة الفكر العربي الاسلامي ، وقد بلغ هذا العمق بالتجربة والرحلة والقراءة والبحث ، فقد أتاحت له الحياة تجربة عريضة على مستويات اربع :

الرحلة والسجن والناس والقراءة .

فهو في خلال ثلاثين عاما وتزيد قد جرى في هذه الآفاق فبلغ منها اقصى ما يمكن ان يبلغه ، فيه طابع الزعامة الفكرية التي غلفها اول الامر طابع الزعامة الوطنية ـ ولا أقول السياسية ـ فكانت صيحته تعبيرا عن ضمير الامة في الثلاثينات ، حينما تطوح امر الحركة الوطنية بعد ثورة ١٩١٩ ، وبلغ الامر في السياسة مبلغ الاحتراف ، فلما اعلن صيحته كان يمثل روح هذه الامة

وضميرها ومن خلال الواقع السياسي لمصر كان يفتح الطريق لرؤيا جديدة ، فقد حمل معه دائما فكرا مجددا ، كان ينظر الى الافق العالمي ، ويدعو هذه الامة لتأخذ بالوسائل والاساليب المجددة في سبيل اقامة نفسها في المكان الحق لها ، فكانت دعوته منوعة في مجال الاقتصاد والسياسة وبناء المصانع بقروش الشعب وبناء الشباب في مجال القوة ، وتوالت دعوته وتطورت في مضمونها واساسها وكان قوامها اعطاء هذه الامة مكانها الحق ، وابلاغها موضع الكفاءة والجدارة .

واذا به يتطور مع النهضة فكلما بلغت مرحلة سبقها الى مرحلة اخرى ، حاملا لواء كل دعوة ، يرى انها ترفع من شأن هذه الامة وتعلي قدرها ، وتحقق لها النهضة والقوة والحياة . صحيح ان فترة الحماسة قد خف مظهرها بارتفاع السن ، ولكنها تحولت الى قوة فكرية ، كما تطور مجاله فلم تعد الجماهير الهادرة ، ولكن في دائرة المثقفين والممتازين ، والصفوة من القارئين والباحثين .

وما يزال مجاله الفكري مفتوحا الى باحة كبيرة يتطلب العمل فيها عمرا مديدا فقد توسعت آفاق فكره وآفاق تجاربه ومطالعاته ولقاءاته ومشاهداته في خلال رحلة العمر الطويلة العريضة التي امتدت الى اسيا وامريكا وامتدت الى الوف الناس ومئات المثقفين والقادة في العالم كله ، والى قراءات لا حد لها في الفكر والسياسة والاجتماع في المجال العالمي كله . فاذا هو حي حياة الفكر القادر على العطاء ، وصاحب الرسالة التي لا تنتهي .

★ ★ ★

ولم يكن احمد حسين مؤلفا وكاتبا وسياسيا فحسب ، ولكنه كان من أساطين المحاماة والخطابة ، من ذلك الجيل الرائد الذي عرف ببلاغة البيان وعبقرية القانون والقدرة الاخاذة على احتلال ناحية التعبير والاقناع .

وهو كذلك في ندوته بارع ، مقنع ، يأخذ طرف الحديث فيصغي الجميع ، ويتسلل الى القلوب والعقول بمنطق بارع فيقنع ، وربما يكون الراي الذي أثير في أول الامر موضع المعارضة ، لظلام حوله ، او لخفائه في بعض جوانبه ، فاذا هو يجليه في براعة فائقة ...

يتحدث في ندوته وجميع من فيها من تلاميذه ومحبيه ، ولكنه لا يفرض الراي ، ولا يسيطر ، بل يدع الكلمة تأخذ منطلقها والراي يجري كالماء النمير ، وفيما بين ذلك يعد الشاي الجميل الذي يغلي في « انائه » المغطى بالطاقية الصوف ، ثم تدور اكوابه الجميلة ، مرة ومرة ، من خلال حجرة مكتبه العامرة بالمجلدات ودوائر المعارف ، وبين حديث ينقطع مرة ومرة لتلبية نداء الهاتف ، والداعي يتسم بالبشاشة ، والشباب ، وما زال وهو معتكف في بيته يعمل ويقرأ ، فلا ينقطع عن محبيه الا يومي الخميس والاثنين حيث يلجأ الى عزلته معتكفا صامتا ، صائما عن الطعام والكلام سحابة يومه ، وهو الى ذلك الحفي بالاصدقاء والاحباب ، يذكر فضل الله ان كتب له الحياة بعد ان مر بأزماته التي تخطاها واشدها هولا محاكمته بتهمة حرق القاهرة ، وموت القاضي فجأة قبل الحكم ، ثم تحرك الثورة المصرية التي قضت على العهد السابق كله ، ومن هنا يرى ان عمرا جديدا له قد كتب ، هنالك تحولت نفسيته تحولا كاملا الى السلام والتصوف الرفيع المستعلي على مطامع الحياة ومظاهرها ، وغرورها ، المنقطع الى العلم والقراءة ، في تسامح واخاء وحب يغمر كل شيء حوله ويضفي على أجوائه روحا من الوداد .

وكانت امنيته الكبيرة التي عاش لها عامي ١٩٥٨ — ١٩٥٩ هي كتابة جديدة لتاريخ مصر منذ مطالع التاريخ الى اليوم ، وقد اشرك الدكتور احمد عبد الكريم واشركني معه ، ثم سابقنا كالريح ، فكتب اكثر من خمسة الاف صفحة من موسوعة جديدة لم تر النور بعد .

وفي ضوء الندوات أيام السبوت كان تاريخ مصر ، موضع العبرة ، وكانت الصور المتوالية التي يراجعها موضع الحديث ، فكنا نزداد اسبوعا بعد اسبوع علما ، وفهما وعمقا بتاريخ مصر ، الذي يحبه ويشغف به الى جوار شغفه بالانسانية كلها وبالاسلام ، وهو لا يرى في ذلك تناقضا فهي كلها جداول تلتقي في نهر هذه النفس الطموح المؤمنة بالله والانسانية والاسلام ومصر ، درة الانسانية والاسلام .

واليوم والاستاذ احمد حسين في ازمة مرضه تتصل رحمة الله به فترفع الضر يوما بعد يوم ، تتطلع القلوب الى عود ليس على الله ببعيد الى هذه الاسمار والامسيات العاطرة على ضفة النيل الخالد قبيل كوبري عباس من الروضة تتجدد فيه النفوس والارواح بزاد العقل والقلب ، وما ذلك على الله بعزيز .

القاهرة **انور الجندي**

صحو

الراعي الشاب الذي كان يقص على رفاقه كل ليلة كيف انه يشاهد « جنية الحرش » بجمالها الرائع ، الذي لم تر مثله عين ، ويطيل في الحديث عنها ووصف فتنتها .

لقد عاد ذات ليلة وفمه لا ينطق بكلمة ..

ذلك انه .. رآها حقا !

حلب **علي الناصر**

عـاد آخـر

منـيرة فـارس

البـحريـــن

هزة الرفض وآهات القبول
ودموع دربها راحت تطول
وصقيع أدفن الهم بـه
فيميت الشــوق فيَّ اذ يقول
عـــاد آخـــر
مـا لهـا الاشواق تصرخ :
عـــاد آخـــر

وا عذابي فيك ، لا اقبل آخر
قـل : لمـاذا ؟
قلت لي آخر من يعلم أنت
يـا لكلمـة ..
عصرت كل عروقي
وهوت تنقض كالحزن المروع
آخر من يعلم أنـت
كم تظاهرت بأني ، في حبور
عندما عانقت ضيقي
عندما سـالت دموعي

أنت ما زلت احتضارا
في عروقي يتاجـج
وانتظارا كل شوقي فيه
مطروحـا ممـدد
كالمسافات التي تقصيك
مطروحـا ممـدد

كل طائر .. كل سائر
حوله كم حام تسئالي حائر
أصحيح عاد آخـــر
رفض الشوق سلاما فاترا
حاملا مر البشـــائر
حاملا روعة يــوم
وتحيـات مســافر

رفض الشوق سلاما ونبـا
ضاع في هجس الخواطـر
لا تلوموا .. لا تقولوا :
عـــاد آخـــر
فانا ما زلت انساني ناطر



الشيخ طه الولي

رأس السنة في المسيحية والاسلام

بقلم الشيخ طه الولي

* * *

يعتبر الناس ان اول يوم في شهر كانون الثاني هو بداية عام جديد فيمارسون فيه ضروبا من مظاهر السرور والفرح تفاؤلا بالمستقبل وابتهاجا بما هم فيه من حياة وصحة ونشاط .

وهذه العادة ليست شرقية ، بل عرفها الشرقيون على اثر احتكاكهم الملح باوروبا ولا سيما بعد الحرب العالمية الاولى . ومن الملاحظ ان الاحتفال بالعام الجديد اخذ يتسم بطابع التقاليد الراسخة مع ما في هذه التقاليد من مراسم وطقوس يتوارثها الخلف عن السلف جيلا بعد اخر .

وقبل ان نتناول الحديث عن عيد رأس السنة بالذات يجمل بنا ان نذكر القارىء بأن الشعوب على اختلاف بلدانها والوانها عرفت في تاريخها الطويل مناسبات تختلف اهميتها بالنسبة لكل منا ، وان هذه المناسبات كانت الى حد ما محطات زمنية يرجع اليها الافراد في تحديد المواقيت التي تتصل بها ظروف حياتهم من خاصة او عامة . ويمكننا القول بان الاحداث التاريخية البارزة كانت حتى عهد قريب علامات فارقة يستعين بها المجتمع للانطلاق من زمن الى اخر في اطار حساباته الفردية الخاصة .

ولعل الكثيرين منا ، في لبنان بصورة خاصة ، ما يزالون يربطون زمنيا بين ضرب الطليان لبيروت وبين مواليدهم فيقولون مثلا : ولد فلان قبل الطليان او بعد ذلك ، لتعيين أعمار هؤلاء المواليد ، كما يقولون كذلك : فلان ولد في التلجه او بعد الاحتلال . وهم يقصدون بالتلجه ذلك اليوم الذي غمرت فيه الثلوج بيروت سنة ١٩٢١ او احتلال الحلفاء لبلادنا سنة ١٩١٨ .

ولا نكون مبالغين اذا اكدنا بأن ما تواضع عليه الناس من الاستعانة بالاحداث الكبرى لمعرفة التواريخ والاعمار ، يبدو اكثر وضوحا في اذهان العامة من تكرار الارقام التي كثيرا ما تشتبه على صاحب العلاقة ، فيقدم بعضها او يؤخره مما يوقعه بالارتباك والخطأ في اكثر الاحيان .

وليست هذه العادة شيئا جديدا علينا ، نحن العرب ، فلقد اعتمدها اجدادنا قبل ان تدركهم قاعدة العمل بالسنة الميلادية او الهجرية . وتحدثنا الاسفار القديمة بأن سكان الجزيرة العربية كانوا يؤرخون وفقا لحادثة أبرهة الحبشي الذي هاجم الكعبة المشرفة بجيش يتقدمه فيل ، فكانوا يقولون : حدث الشيء الفلاني قبل عام الفيل او بعده ، حتى انهم جعلوا من عام الفيل هذا ميعادا لمولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا : ولد محمد عام الفيل ، وهم يقصدون بالطبع العام الذي هاجم فيه ابرهة مكة والفيل على رأس جيشه ، ولعل العرب فوجئوا باستعمال الفيل للحرب وهو امر لم يكونوا يألفونه من قبل فاتخذوا من هذه المفاجأة موعدا زمنيا لهم فيما يعترضهم من شؤون وشجون .

واما غير العرب فلقد اتخذوا من « بدء الخليقة » حدا تاريخيا ينسبون اليه وقائعهم . وبقي استعمال « بدء الخليقة » شائعا في بعض كتب المؤرخين النصارى حتى عهد قريب الى جانب استعمال السنة الميلادية . واذا رجعنا الى كتاب تاريخ سورية للطيب الذكر المطران يوسف الدبس فاننا نجده يستعمل التاريخين ، الخليقي والميلادي ، جنبا الى جنب في تحديد زمن الاحداث التي ذكرها في كتابه القيم .

وايا ما كان فان الرأي قد استقر اخيرا على اعتماد حادثين جليلين ليكونا منطلقا نهائيا في معرفة الازمنة التاريخية التي يتقلب فيها البشر .

اما الحادث الاول فهو ميلاد سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام ، والجدير بالذكر ان التاريخ لم يحفظ لنا في اسفاره العديدة الزمن الحقيقي الذي ولد فيه السيد المسيح . وبقي هذا الزمن محل جدل كثير لا سيما بين المذاهب النصرانية مما ادى في الواقع الى عدم الاتفاق على توحيد المراسم الدينية المعتمدة في هذه المناسبة الجليلة .

ولم يكن هذا الاختلاف حديثا بل هو قديم جدا ، ويرجع الى بدء ظهور الديانة النصرانية في اول عهدها يوم انطلق الرسل للتبشير بها في انحاء العالم المعروف في ذلك الزمن .

ومن البديهي ان النصارى الاولين لم يكونوا يتخذون من ميلاد السيد المسيح طقسا دينيا ذي مراسم معينة . ولكن وجود العبادة الوثنية لدى الرومان وما كان يرافقها من مظاهر ومناسك ، حمل رواد الديانة النصرانية الجديدة على مواجهة المجتمع الوثني بتقاليد مماثلة تملأ الفراغ العاطفي لدى المؤمنين وتشدهم الى عقيدتهم الجديدة برباط وثيق من المظاهر والشكليات التي لا يستغنى عنها اي دين من الاديان .

وهكذا كان ، فان آباء الكنيسة الاولين لم يجدوا حرجا في ان يجعلوا من عيد الشمس الذي كان شائعا يوم ذاك ، عيدا دينيا يرمز الى ولادة السيد المسيح ، واستمر الخلف على ما اخذ به السلف في هذا الصدد ، ولا نزال حتى اليوم نحتفل بيوم الشمس على انه يوم الميلاد دون ان نكلف انفسنا التدقيق والتمحيص ، لان المقصود في النتيجة هو الاحتفاء بذكرى عزيزة على القلوب لشخص له مكانته المقدسة بصرف النظر عن تقديم الزمن او تأخيره ، اذ لا اهمية في هذا مما نحن فيه .

وابتداء السنة ، او كما يقال تقليديا ، رأس السنة ، لم يكن دائما في اول كانون الثاني « يناير » بل كان النصارى في الزمن القديم يصرون على أن رأس السنة يجب ان يكون في يوم الميلاد بالذات وذلك لتكون الاشياء متفقة مع منطق الاحداث فلا يجوز ان ننسب السنة الى الميلاد ونبدأها في غير هذه المناسبة الهامة . وبالفعل فلقد اتخذ من يوم الميلاد رأسا للسنة الميلادية عند فريق من النصارى بينما اصر فريق

اخر على اعتبار يوم الفصح رأسا للسنة الميلادية ، لان هذا اليوم بنظر هؤلاء يعتبر تجديدا للعالم لميلاد المخلص وقيامته ، على حد قولهم .

وبقيت الكنيسة موزعة بين الرأيين في تحديد رأس السنة الميلادية حتى اخذت اخيرا بالترتيب الذي وضعه احد اباطرة الرومان قبل ١٥٣ قبل الميلاد ، فهذا الامبراطور الروماني جعل مطلع العام جانوريوس ـ يناير المقابل لكانون الثاني ـ فلم تلبث الممالك المعاصرة ان تابعت هذا الحساب رويدا رويدا الى ان عم استعماله في اوروبا في اواسط القرن الثامن عشر للميلاد ، ومنها انتشر في اوساط النصارى حتى شملهم في كافة مجتمعاتهم وامصارهم .

ونظرا لمكانة اوروبا واميركا وغيرهما من القارات التي تنتشر فيها الديانة النصرانية اليوم فان التقويم الميلادي يكاد يفرض نفسه في جميع انحاء العالم على مختلف اديانه ومذاهبه واتجاهاته الفكرية .

ولقد بدرت عدة محاولات لتعديل التقويم الميلادي في اوروبا ولا سيما في فرنسا بالذات وذلك في بدء الثورة التي نشبت فيها سنة ١٧٧٩ ، وكان الهدف من هذه المحاولات الاستغناء نهائيا عن السنة المسيحية وابدالها بسنة ثورية تستمد اسمها واسماء شهورها واسابيعها وايامها من معاني جديدة تتفق والروح التي كانت مهيمنة على القائمين بالثورة .

لكن هذه النزعة المتطرفة لم تلاق الصدى الايجابي فيما حولها ، لا في الاوساط الفرنسية ولا في غيرها من الشعوب المجاورة ، لذلك لم تلبث ان وئدت وهي في المهد دون ان يقدر لها الظهور والانتشار .

واستمر التقويم الميلادي القديم المرجع الوحيد لتاريخ وقائع الايام في فرنسا وكذلك في سائر اوروبا دون منازع !

واما الحادث الثاني الذي لفت انظار الناس وبصورة خاصة اولئك الذين كانوا يقيمون في شبه الجزيرة العربية وما حولها من بلدان الشرق الادنى ، فهو الدعوة الاسلامية التي حمل لواءها النبي محمد صلى الله عليه وسلم . ولقد كان العرب قبل الاسلام يؤرخون بالنجوم، ومنه صار الكتاب يقولون : نجمت عن فلان دينه أي تركته يؤديه في نجوم .. وكذلك كانت العرب بكل عام يكون فيه امر مشهور متعارف ، فارخوا كما قلنا من قبل بعام الفيل ، وفيه ولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان في السنة ٣٨ من ملك كسرى انو شروان ، وارخت العرب بعام الخنان والخنان وباء انتشر في الناس وقضى على كثير منهم وفي ذلك يقول الشاعر :

فمن يك سائلا عني فاني ... من الشبان ايام الخنان
مضت مائة لعام ولدت فيه ... وعز بعد ذلك رجحتان

وارخت العرب بموت هشام بن المغيرة المخزومي وذلك لجلالته فيهم . يقول الشاعر :

واصبح بطن مكة مقشعرا ... كأن الارض ليس بها هشام

وروي عن الزهري والشعبي ان بني اسماعيل ارخوا من نار ابراهيم عليه السلام الى بنائه البيت « الكعبة » حين بناه مع اسماعيل، وانهم كذلك ارخوا من بنيان البيت الى تفرق معد ، فكان كلما خرج قوم ارخوا بمخرجهم الى ان ارخوا زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان سبب ذلك ان ابا موسى الاشعري احد الولاة ايام عمر كتب اليه : «انه يأتينا من قبل امير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ ، فلا ندري على أيها نعمل ، وروي ايضا انه قرأ صكا محله شعبان ، فقال : « أي الشعبانين ، الماضي ام الاتي ؟ فكان سبب التاريخ من الهجرة بعد ان قالوا نؤرخ يوم الفيل ، وقالوا من المبعث ، اي بدء الدعوة الى الاسلام .

ثم اجتمع الراي على الهجرة ، وقالوا : ما يكون اول التاريخ ؟ فقال بعضهم : شهر رمضان ، وقال بعضهم : رجب ، فانه شهر حرام والعرب تعظمه ، ثم اجمعوا على المحرم ، فقالوا : شهر حرام وهو منصرف الناس من الحج وكان آخر الاشهر الحرم ، فصيروه اولا لانها عندهم ثلاثة سرد « متوالية » ذو القعده ، وذو الحجة والمحرم والفرد رجب ، *فكانت الاربعة تقع في سنتين فلما صار المحرم اولا وقعت في سنة واحدة* .

وهكذا بدأت السنة الهجرية عند العرب وسائر المسلمين في العالم وما يزال العمل جاريا بها في الامصار الاسلامية حتى اليوم .

على ان التقويم المسيحي يعتمد في حساباته الزمنية على دورة الارض السنوية حول الشمس ولهذا يقال له التقويم الشمسي او السنة الشمسية بينما يعتمد التقويم الهجري الاسلامي على دورة القمر اليومية حول الارض لذلك يقال له **التقويم الهلالي او السنة الهلالية** ومن المعروف أن هاتين السنتين الشمسية والهلالية تتفاوتان في المدة اذ تزيد الاولى عن الثانية ثلاث سنوات في كل مائة سنة بسبب مطالع القمر الشهرية . وهناك قواعد حسابية يلتزمها الفلكيون عندما يريدون المقابلة بين السنتين في تحديد الوقائع التاريخية وفق كل منهما في الشهر واليوم .

والسنة الواحدة ، سواء اكانت ميلادية او هجرية عدتها الحالية اثنا عشر شهرا . غير ان هذا التوزيع الزمني للسنة لم يكن كذلك دائما عند عامة الشعوب ، بل تقلبت عليه الاحوال في الماضي السحيق، فكانت السنة عند فريق اربعة اشهر وعند غيرهم ستة ولقد جعلها رومولوس عشرة شهور تبتدىء من مارس « شهر المريخ » وينتهي بديسمبر « الشهر العاشر » ثم زاد عليها نوماس بامبيلوس وقيل تركينيوس شهري جانيورس وفابروارس المقابلين لشهري كانون الثاني وشباط من شهورنا المتعارفة . وهكذا جعل ابتداء السنة بشهر جانيوروس « يناير » او كانون الثاني بعد ان كان ذلك البدء بشهر نيسان « ابريل » ومن يتدبر كلمة نيسان يجدها مركبة من كلمتي نيو وسان ، ونيو باللغة الآرية القديمة تعني الجديد مما يدل على ان نيسان كان يعني اول السنة الجديدة .

ولقد تواضع علماء الدراسات الجوية على قسمة السنة في دورتها الزمنية الكاملة الى اربعة فصول مناخية ، وهي الفصول الاربعة المعروفة : الشتاء ثم الربيع ثم الصيف ، ثم الخريف ، وهي قسمة اعتبارية ترتبط بتأثر الارض بالحرارة التي تحيط بها على مدار السنة بكاملها .

اما الشهور فان عدد ايامها يتراوح في التقويم الشمسي الميلادي ما بين الثلاثين يوما والواحد والثلاثين ، ولقد فرضت هذا الاختلاف في عدد ايام الشهر الواحد عن الاخر ضرورة الاخذ بمبدأ الاثني عشر شهرا للسنة الواحدة حتى لا يبقى هناك أيام منفردة لا يفي عددها بقيام شهر مستقل ، اما قسمة الشهر الواحد الى أربعة اسابيع فيرجع الى العبرانيين الذين جعلوا كل شهر يتالف من اربعة اسابيع لان كل اسبوع عدته سبعة ايام وكان عدد « ٧ » من الاعداد المقدسة عندهم ، ولعل العبرانيين تأثروا بتقديس هذا العدد بمن سبقوهم من الاقوام الوثنية ومن الملاحظ ان هذا العدد « ٧ » ما يزال يحظى بمكانة قدسية الى اليوم لدى كافة اصحاب الاديان المختلفة ولو في حدود التقاليد والعادات المالوفة .

ولا تزال ايام الاسبوع بالعربية تشعر باصلها العددي الترتيبي المتداول حتى ايامنا هذه ، فان الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ما هي الا الفاظ عدل بها عن اليوم الاول واليوم الثاني والثالث والرابع والخامس .

وليست هذه الاسماء كذلك في اللغات الاوروبية الدارجة اليوم ، لان الناطقين بهذه اللغات اخذوها عن اسماء ايام الاسبوع التي كانت متداولة عند قدماء المصريين في عهد الفراعنة ، اذ كان هؤلاء يخصون اليوم الاول بالشمس التي كانت المعبود الرئيسي لهم ، والثاني بالقمر والثالث بالمريخ والرابع بعطارد والخامس بالمشتري ، والسادس بالزهرة، كما يظهر ذلك لمن تدبر معاني اسماء الايام باللغة الفرنسية .

مثلا فان معنى Lundi يوم القمر ، او Mardi يوم المريخ الـــخ ...

على ان ايام الاسبوع السبعة ليست كلها سواء ، من حيث المكانة في نفوس الناس ، اذ يختلف هؤلاء بنظرتهم الى هذا الايام بحسب ما هم عليه من عقيدة وايمان . فاليهود مثلا يعتبرون السبت اليوم الذي ارتاح فيه الخالق عز وجل من عناء ايجاد الكون وما عليه من عوالم وعلى هذا فهم يعطلون اعمالهم فيه ويعتبرونه عطلة الاسبوع وميقات الصلاة الرئيسية لهم .

اما النصارى فانهم ارادوا مخالفة سابقيهم من اليهود بأن جعلوا من الاحد يوما لراحتهم وموعدا لطقوسهم الدينية الكنسية الاسبوعية . واطلقوا على اليوم الاول « الاحد » لقب يوم الرب اكراما لما يعتقدونه من قيامة السيد المسيح فيه من قبره ويرتقي تقديس يوم الاحد عند النصارى الى اوائل ظهور الديانة النصرانية وهذا التقديس يرجع الى ما قرره الرسل ـ صحابة السيد المسيح عليه السلام ، وما جرى عليه تقليد آباء الكنيسة المسيحية منذ انشائها في القرن الاول للميلاد . وفي كتب النصارى المقدسة التي يتوارثونها فيما بينهم اشارة واضحة الى هذا فقد ذكر القديس يوحنا الحبيب يوم الاحد في كتاب الرؤيا (١ ـ ١٠) ودعاه « يوم الرب » .

وفي اعمال الرسل « ٢٠ ٧ » ان المؤمنين ـ النصارى ـ كانوا يجتمعون فيه ، اي في يوم الاحد ليكسروا الخبز ، اي ليقدموا الاسرار ـ وفقا التقاليد الدينية المسيحية .

ويؤخذ من رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتس « ١٦ ـ ١ ـ ٢ » ان جمع الحسنات للفقراء كان يتم يوم الاحد » .

اما الانجيل ، كتاب النصارى المقدس ، فانه يدعو الاحد اول الاسبوع وبعض آباء الكنيسة المسيحية كاغناطيوس الانطاكي وبرناباوس فانهم كانوا يدعون الاحد « رأس الايام » ويسميه يوتينوس ، على نحو ما كان يسميه أهل زمانه أي (يوم الشمس) ويزيد انه في هذا اليوم بالذات كان يجتمع المؤمنون ـ النصارى ـ لاخذ الاسرار ثم ما لبث ان شاع الاحد على انه « يوم الرب » في زمن قسطنطين الذي اصدر قانونا صريحا بهذا الصدد سنة ٣٢٢ م .

ويميل النصارى الى عدم القول بأنهم اتخذوا من الاحد بديلا عن السبت يوما مقدسا رغبة منهم في مخالفة اليهود وانما هم فعلوا ذلك لان الاناجيل الاربعة اجمعت على ان قيامة المسيح من الاموات ـ على حد قولهم ـ تمت صباح هذا النهار ، فهم لهذا يميزونه عن سائر ايام الاسبوع ، ويحتفون به في كنائسهم ويتخذونه يوم عطلة وراحة لانفسهم ،

اما المسلمون ، فانهم لم يكونوا اول عهدهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم يميزون بين ايام الاسبوع ولا يرجحون بعضها على بعض بالفضل والقدسية ، وكانوا ، كما سبق ان ذكرنا ، يطلقون على أيام الاسبوع اسماء توحي بالتعداد والتسلسل يوما بعد يوم الى الجمعة ، فلقد كان العرب يطلقون على هذا اليوم في جاهليتهم اسم يوم العروبة ، بفتح العين ، اي اليوم الفاصل بين الاسبوعين .. الى ان حدث ظهور الاسلام وتقررت فيه صلاة الجمعة الجامعة ، فاطلق على هذا اليوم اسم الجمعة لما يحدث فيه من تجمع الناس لأداء الصلاة في المسجد الجامع على نحو ما هو معروف في الدين الاسلامي .

وتروي كتب التاريخ الاسلامي انه حدث في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان سمع يهودي مسلما يتلو الآية الكريمة « اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

فقال اليهودي للمسلم : « لو علينا معشر اليهود نزلت هذه الآية لاتخذنا من يوم نزولها عيدا » .

فلما نقل الخبر الى الخليفة عمر أجاب رضي الله عنه : انا معشر المسلمين قد علمنا متى نزلت هذه الآية واين .. انها نزلت يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يلقي خطبة الوداع في عرفات ...

ومن هنا رأى بعض الناس ان مكانة يوم الجمعة المتميزة بين سائر ايام الاسبوع ، انما جاءت من هذه الآية الكريمة وما لابسها من تبادل الكلام بين اليهودي والمسلم مما جعل الدولة ، متمثلة بشخص امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تستجيب الى ما اشار به اليهودي من تعظيم اليوم الذي نزلت فيه الآية الكريمة .

بيد اني لا ارى في هذا الصدد الاخذ بهذا التعليل ، واغلب الظن ان المسلمين اختاروا لانفسهم يوم الجمعة دون موافقة أهل الكتاب من اليهود والنصارى على احد يوميهم ، السبت والاحد ، بدافع رغبتهم في ان يكون لهم يوم خاص بهم وهو امر يحتمه منطق الواقع الجديد للدين الاسلامي الذي كان بحاجة قصوى لتحديد معالمه الشخصية بما يجعله شيئا مستقلا عن بقية المذاهب والاديان الاخرى .

وبعد ، انه موضوع املته مناسبة نهاية عام واقبال عام اخر والله نسأل ان يكون فيما نستقبله من الايام الخير للامة والوطن وان تجد فيه الانسانية على اختلاف اجناسها ومذاهبها ما يحقق الرجاء في عالم سعيد لا تشوبه مخاوف القلق ولا تسوده روح الاثرة والانانية والطمع .

طـه الوالي

الادب المهجور

الى روح بدر شاكر السياب

صمتت جيكور
وتوارى النور
عن ماء « بويب »
وتشكى عزلته الدرب المهجور .
وغناء الريف
أمسى في ركب الريــح صدى ناحل
أو شوقا في دوح ذابل
وليالي الصيف القمراء
ما رشتها أنغام عذراء
بل زخة ويــل !
والانجم لم تخفق في جدول حـب
أو تلهو بحنين الغدران ،
وبــوح القلب

ولت صبوات
ماتت رغبات
وانهارت تذكارات

دمشق — **رضوان عقل**

راقصة الباليه

من الديوان المعد للطبع : عبير من دمشق

سطعت في عبقري من صباها   أين منه الشمس وفي رأد ضحاها
فتن في كل قلب أيقظت   فتنا للشوق ما أومت يداها
حركات الموج في أشكاله   حققت أشكاله نسجا خطاها
لست تدري أخضما عاصفا   كنت ما تبصر أم كنت تراها
ضربت كالنسر في أجنحة   للهوى وانطلقت دون هواها
وانبرت تفتل في حلبتها   كرياح عصفت ملء رباها
فيد مدت كمن تبغي قرى   ويد أثقلها برح جواها

عمدت تجري على ابهامها   لمدى يقصر شأوا عن مداها
وانثنت عاصفة في قطب   عاصف يلهب من حمى لظاها
كل عضو شع من أعضائها   كشعاع وانثنى طوع مناها
لطفت أعضاؤها واتسقت   كدرار يسحر العين سناها
تلتوي منسابة في شاسع   مثل أفعى تتلوى في سراها
من رآها خالها عاصفة   من لهيب يقذف النار جذاها
أو كتيار جرى منهمرا   بيد لم تأل بذلا في نداها
أو كمثل النوط في ذبذبة   ضل من كر ومن فر وتاها

حققت في فنها معجزة   لم تقم في مثلها انثى سواها
حركات لم تشنها هجنة   كانطلاق الموج نهجا واتجاها
وأفانين لها من فتن   أشرعت للفتنة الكبرى ظباها
كاد من اعجابه حاسدها   يرخص النفس على وجد فداها
مقل وسنى أطلت دونها   فتن للحسن ليست تتناهى
لم تزل أعلامها منشورة   في ميادين الهوى تروي هواها
أججت في كل قلب شعلا   للضنى ما كان بالنذر ضناها

خلتها لما تراءت والدجى   مطبق نيرة دون سماها
أو كطيف شارد في مقلة   ذاد من وجد عن العين كراها
حالت البهرة شيئا عجبا   يخلب الالباب من ورد بهاها
عطفت عطف صدود وانثنت   كصريع أقصدته مقلتاها
رسمت ما راح يمليه الصبا   صورا بالبشر منشورا لواها
جددت للنفس أوجاع الهوى   وأثارت بالبكا عين فتاها
حسبها ما حققت من صور   كست الفن فتونا وكساها
ليس رقصا ما جرت ترسمه   بخطاها انه وحي صباها

دمشق

عدنان مردم بك

اميل الغوري - صلاح الدين الدباغ

خيري حماد - راجي صهيون

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ــ اميــل الغــوري

كان الشعار الذي آمن به الاستاذ الغوري وظل يردده في ندواته واسماره قول « شـوقي » :

وطنـي لو شغلـت بالخلـد عنـه   نازعتني اليه بالخلـد نفسـي !

في بيت المقدس مدينة الطهر والحق ولد « اميل » سـنة ١٩٠٧ وأتم دراسته الاولية في مدارسها الابتدائيـة ودراسـته الثانوية في مدرسة المطران بالقدس وتخرج منها سنة ١٩٢٢ وحصل على شهادتها الثانوية وشهادة (اكسفورد لور سكول سرتيفيكت) وهي تعادل شهادة التوجيهية أو المترك .

وحمله مرض والده والالتزامات العائلية على العمل في مكتب شركة كوك للسياحة بالقدس وأمضى فيه سبعة أعوام ، وخلال هـذه الفترة ساهم في الحركة العربية الفلسطينية وفي الحركة العربية الارثوذكسية مساهمة فعالة وانتخب لعدة سنوات سكرتيرا للنادي العربي الارثوذكسي بالقدس . وفي سنة ١٩٢٩ قصد الولايات المتحدة طلبا للعلم والتحـق بجامعة سنسناتي (بولاية اوهايو) وتخرج منها بدرجة ماجستير سنة ١٩٣٢ في العلوم السياسية وقبلها حصل على شهادة بكالوريوس فـي « تاريخ الشرق الاوسط والقرون الوسطى » . وخـلال وجـوده فـي الولايات المتحدة دخل في مناظرات سياسية معءناصر اميركية وصهيونية دفاعا عن قضية فلسطين .

وفي خريف عام ١٩٣٣ عاد الى فلسطين والحماس ملء اهـابه وانبرى لدفع عوادي السياسة عن وطنـه وعرضت عليه السـلطات البريطانية وظائف عالية في حكومة الانتداب ، لكنه آثر العمل الحـر فاختار الصحافة مسرحا لجهاده واصدر في القدس صحيفة اسبوعيـة باللغة الانكليزية اسمها : « ارب فدريشن » وبعد تسعة شهور مـن تاريخ صدورها أغلقتها السلطات البريطانية لمناوئتها الوطـن القومي ولشجبها السياسة العشواء التي تنتهجها بريطانيا في سبيل تهويـد فلسطـين .

وفي خريف عام ١٩٣٣ انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني السابع فأسهم في الحركة الوطنية وشارك في أعمال الجهاد الفلسطيني وهنا اعتقلته السلطات البريطانية .

وليعوض على قضية البلاد بصحف حرة تنشر ظلامتهـا وتـروي مأساتها أصدر في سنة ١٩٣٤ مجلة أسبوعية باسم « الشباب » وجريدة يومية باسم « الوحدة العربية » لكن المسؤولين البريطانيين عمدوا الـى اغلاق هاتين الصحيفتين ومصادرة مطابعهما ، وهي ملك للاسـتـاذ الغـوري .

وليؤدي رسالته القومية على أحسن وجه التحق في سـنة ١٩٣٤ بـ « معهد الحقوق الفلسطيني » ونـال شهادة الحقـوق ثم دبلـوم الحقوق ، واجيز كمحام لكنه لم يزاول المحامـاة بل انصرف الـى السياسة وخدمة بلاده عن طريق الصحافة . وفي ربيع عـام ١٩٣٥ انتخب سكرتيرا عاما للحزب العربي الفلسطيني ، لدى تأسيسه ، وظل يشغل هذا المركز حتى نهاية عهد الانتداب .

وعند اعلان الاضراب (١) الفلسطيني العام ونشوب الثورة العارمة عام ١٩٣٦ انتخب عضوا في الوفد الفلسطيني وقصد لندن مع رفاقه السادة : جمال الحسيني وشبلي الجمل والدكتور عزت طنوس .

وفي خريف عام ١٩٣٧ انتدبته اللجنة العربية العليا في فلسطين عضوا في وفدها الذاهب الى جنيف للدفاع عن القضية الفلسطينية امام عصبة الامم ثم في لندن .

وفي ربيع عام ١٩٣٧ انتدبته اللجنة العربية في فلسطين لتأسيس المكتب العربي الفلسطيني في لندن للدعاية والاعلام وكان اول مكتب عربي انشيء للدعاية في الخارج ، وظل الاستاذ الغوري يدير شؤون هذا المكتب الى ان استدعته اللجنة العربية العليا في فلسطين فعاد الى القدس .

وفي صيف عام ١٩٣٧ بارح فلسطين مع الوطني المؤمن الخوري نقولا الخوري كوفد فلسطيني منتدب من اللجنة العربية العليا لزيارة تركيـا واليونان ورومانيا وبلغاريا والصرب لشـرح القضية الفلسطينية فـي الاوساط الارثوذكسية بالبلقان ولمقاومة مشروع التقسيم الذي اقترحته لجنة اللورد بيل الملكية ، وبعد ان انجز مهمته مع الخوري نقولا عـاد الى القدس وتولى رئاسة تحرير جريدة « اللواء » اليومية ، وكانـت تعتبر الصحيفة الناطقة باسم سماحة الحاج أمين الحسيني والحزب العربي الفلسطيني .

وانتدبت اللجنة العربية العليا الاستاذ الغوري لتمثيل فلسطين مع وفدها في المؤتمر العربي البرلماني المنعقد في القاهرة عام ١٩٣٨ ثم زار الولايات المتحدة عام ١٩٣٩ مع رفيقه الاستاذ محمد جميل بيهم لشرح القضية الفلسطينية « اليتيمة » ، وعندما اراد العـودة الـى فلسطين حالت السلطات البريطانية دون أمنيته ... فهبط مصر وظـل فيها مدة اربع سنوات ، يصرف أعمال مكتب الدعاية والنشر الـذي أسسته اللجنة العربية العليا .

وفي سنة ١٩٤٢ عاد الى فلسطين بعد الغاء أمر اعتقاله وسمح له بالرجوع الى وطنه وسرعان ما استأنف نشاطه السياسي ، بالرغم مـن ظروف الحرب العالمية الثانية القائمة ، واعاد في سنة ١٩٤٤ تشكيـل « الحزب العربي الفلسطيني » الذي ظل يزاول نشاطه حتى سنة ١٩٤٦ عند تشكيل « الهيئة العربية العليا لفلسطين » (٢) .

وفي سنة ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦ تولى رئاسة تحرير جريدة « الوحدة » التي كانت تصدر في القدس لاصحابها السادة : اسحق عبد السـلام الحسيني وعمر الحسيني واميل الغوري .

وبعد تشكيل « الهيئة العربية العليا لفلسطين » خـلال الـدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية المنعقد في بلودان (بسورية) في حزيران ١٩٤٦ انتخب الاستاذ الغوري عضوا في هذه الهيئة .

وفي مطلع عام ١٩٤٧ انتدبته « الهيئة العربية العليا لفلسطين » عضوا في وفدها الى مؤتمر المائدة المستديرة المنعقد في لندن ، كمـا انتدبته سكرتيرا لوفدها الى الامم المتحدة (وكـان الوفد العربـي الفلسطيني الاول الى الامم المتحدة) لحضور دورتها الاستثنائية في أيار ١٩٤٧ .

وبعد صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ شارك في حركة الجهـاد والثورة وفي قيادة المناضلين العرب في منطقة القدس في نيسان ١٩٤٨ اثر استشهاد المرحوم عبد القادر الحسيني في معركة القسـطل يوم الاربعاء الواقع في ٨ نيسان ١٩٤٨ ، ومثل فلسطين (كعضو في الوفـد

الفلسطيني) في جميع دورات مجلس جامعة الدول العربية (من ١٩٤٥ الى ١٩٤٨) .

وفي خريف عام ١٩٤٨ انتخب سكرتيرا عاما للمجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مدينة غزة ، وهو المجلس الذي أعلن قيام « حكومة عموم فلسطين » .

وفي سنة ١٩٤٩ اختارت « الهيئة العربية العليا لفلسطين » الاستاذ الفوري سكرتيرا للوفد الفلسطيني للامم المتحدة والى دول امريكا اللاتينية سنة ١٩٥٠ .

وبعد فراغه من اداء المهمة التي انيطت به انتدبته « الهيئة العربية العليا لفلسطين » قائما باعمالها في بيروت ، وظل يشغل هذا المنصب (من سنة ١٩٥٠ - ١٩٥٢) عندما جرت محاولة لاغتياله ، فنجا منها باعجوبة وانتقل الى مصر وعمل في المكتب الرئيسي للهيئة العربية العليا كرئيس لدائرة الدعاية ورئيس للدائرة السياسية وهو المركز الذي ظل يشغله حتى عام ١٩٦٦ .

واشترك الاستاذ الفوري في الوفود الفلسطينية التي انتدبتها « الهيئة العربية العليا لفلسطين » لتمثيل فلسطين والدفاع عن قضيتها والدعاية لها ، في المؤتمرات التالية :

١ - عضو في الوفد الفلسطيني الى مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥
٢ - مندوب عن فلسطين في مؤتمر الدول غير المنحازة المنعقد في بلغراد عام ١٩٦١ .
٣ - رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٠.
٤ - رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦١
٥ - رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٢
٦ - عضو الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٣
٧ - رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٥
٨ - رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٦ .
٩ - رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٧ .
١٠ - رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٨ .

وكان يدلي ببيانات عن قضية فلسطين امام اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العمومية للامم المتحدة في كل دورة من دوراتها التي عقدت في الاعوام ١٩٦٠ - ١٩٦٨ .

وبعد هجرت قسرية فرضت عليه واستمرت ١٧ عاما عاد الى القدس في عام ١٩٦٥ واقام فيها واعيد تسجيله في لائحة المحامين الاردنيين المخولين ممارسة المحاماة .

وفي ربيع ١٩٦٦ انتخب بالتزكية نائبا للقدس ومنطقتها في مجلس النواب الاردني ، وفي صيف عام ١٩٦٩ عين وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل في الحكومة الاردنية .

من آثاره القلمية : منذ فتح الاستاذ الفوري عينيه على الظلامات التي أنزلها الانتداب البريطاني والصهيونية بعرب فلسطين ، وهو يرقب بدأب واهتمام تلك السياسة الجائرة التي انتهجتها بريطانيا في ذلك الجزء المظلوم ، ويشجبها بلسانه وقلمه ، ويصنف كتبا تناول فيها قضية فلسطين . ومن الكتب التي أصدرها :

١ - المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين - (١٩٥٥)
٢ - حركة القومية العربية - (١٩٥٦)
٣ - حركة القومية العربية ومعركة قناة السويس - (١٩٥٧)
٤ - ١٥ أيـار - (١٩٥٩)
٥ - فلسـطين - (١٩٦١) .
٦ - المعذبون في أرض العرب - (١٩٦١) .
٧ - ملحمة الفداء الفلسطيني : جهاد الفلسطينيين ضد الاستعمار والحركة اليهودية ، من ١٩١٨ - ١٩٤٨ - (١٩٦٨)
٨ - ثـار أو عـار - (١٩٦٩)

نموذج من نثره : « تقف الامة العربية اليوم أمام عهد جديد ، ودور مجيد من أدوار الجهاد الفلسطيني العتيد ، يستأنفه بصدق ، ويرفع لواءه بيقين ، أبطال ميامين من الفدائيين الفلسطينيين الصادقين، واخوان لهم من العرب ، انضموا الى قوافل الفداء ينشدون الاستشهاد على ثرى فلسطين ، ويسطرون جميعا ، في الارض الفلسطينية المحتلة ، وفي القدس زهرة المدائن ، صفحات جديدة من المجد والتضحية ، ويضيفونها دامية قانية الى سجل تاريخ الجهاد الفلسطيني الخالد ، بمقاومتهم الباسلة الضارية للاحتلال اليهودي الغاشم ، وبصمودهم الرائع في وجه الظلم والعدوان .

يستأنف الفلسطينيون جهادهم المقدس ، بعد فترة عشرين عاما من الزمن ، أبعدتهم خلالها هذه السياسة الخاطئة المتخاذلة ، عن ميدان قضيتهم ، وانتزعتها من أيدي أصحابها الصابرين الذين صانوا أمانتها ، ووفوا بمهودهم في الحفاظ على سلامتها ، وحرمت الفلسطينيين من المال والسلاح وسائر وسائل الكفاح ، وانكرت عليهم حقهم في القيام بواجبهم وتحمل مسؤولياتهم في الدفاع عن بلادهم ومقدساتهم ، والذود عن حياضهم . ووقفت هذه السياسة الخاطئة من الفلسطينيين المشردين اللاجئين ، مواقف غير كريمة وخالية من واجبات الاخوة والاعتبارات القومية ، فجعلت منهم طبقة « المعذبين » في أرض العرب .

أما النتائج التي أسفر عنها تنفيذ هذه السياسة فهي محزنة مؤلمة ، ولعل آلمها ان اليهود الدخلاء استطاعوا ان يحققوا في عام ١٩٤٨ وخلال أشهر قليلة محدودة ، معظم أهدافهم ، بعد ان عجزوا عن بلوغها مدة ثلاثين عاما ، بفضل صمود الفلسطينيين ونضالهم العظيم .

ان الاعمال الباهرة التي يقوم بها الفدائيون والبطولة النادرة التي يظهر ابناؤنا الذين يضعون أرواحهم على اكفهم في سبيل انقاذ فلسطين وتحريرها ، وصمود قومنا في المناطق التي ترزح تحت نير الاحتلال اليهودي الغاشم ، تشكل فصولا جديدة في قصة كفاح طويل ، ونضال عظيم ، وتعيد الى الذاكرة والاذهان ، بل يجب ان تعيد اليها ، صفحات ناصعة من الجهاد والفداء ، زانت تاريخ فلسطين والعرب وبيضت صفحاته بوقائع من البطولة ، وسير من الشجاعة ، ومسالك من التضحية ، قصة خالدة تبدأ فصولها الاولى القانية منذ عام ١٩١٨ ، ولا تنتهي باذن الله الا بعد بلوغ الاهداف المنشودة ، ونيل الاماني الغالية ! » .

٢ - الدكتور صلاح الدين الدباغ

ولد « صلاح الدين » في بيروت عام ١٩٣٦ من والد فلسطيني هو الاستاذ مصطفى مراد الدباغ ووالدة بيروتية هي السيدة وداد محمصاني شقيقة الشهيدين محمد ومحمود المحمصاني (٣) ، وترعرع «صلاح الدين» في فلسطين وتلقى علومه الابتدائية في « كلية النجاح الوطنية » بنابلس وفي مدرسة العامرية بيافا .

وفي عام ١٩٤٨ ، عام النكبة المروعة الاولى نزح « صلاح الدين » الى بيروت وتلقى علومه الثانوية في الكلية الثانوية العامة التابعة للجامعة الاميركية ثم التحق بالجامعة الاميركية نفسها ونال منها عام ١٩٥٦ شهادة بكلوريوس في علم الاقتصاد بدرجة الامتياز كما نال منها عام ١٩٥٩ شهادة استاذ في علم الاقتصاد ، والتحق بجامعة القديس يوسف (الجامعة اليسوعية) ببيروت وحصل منها عام ١٩٥٧ على

---

(١) أضربت فلسطين ساحلا وداخلا في ١٦ نيسان ١٩٣٦ ودام هذا الاضراب حتى اليوم الثالث عشر من تشرين الاول ١٩٣٦ .
(٢) تألفت « الهيئة العربية العليا لفلسطين » عامذاك من السادة : جمال الحسيني ، أحمد حلمي عبد الباقي ، الدكتور حسين الخالدي ، اميل الغوري واحتفظ برئاستها لسماحة الحاج امين الحسيني لوجوده في المعتقل بباريس . (٣) هذان الشهيدان من قافلة الشهداء الاولى وقد نفذ حكم الاعدام فيهما في ٢١ اغسطس ١٩١٥ .

شهادة الليسانس في الحقوق الفرنسية والليسانس في الحقوق اللبنانية عام ١٩٥٨ .

وواصل « صلاح الدين » دراسة الحقوق في الولايات المتحدة حيث التحق بجامعة (اس. ام. يو) في دالاس (بولاية تكساس) وحصل منها على شهادة الماجستير في القانون المقارن بدرجة الامتياز . وعقب عودته الى بيروت التحق بقسم الدكتوراه في جامعة القديس يوسف وفاز منها عام ١٩٦١ على درجة دكتوراه دولة في الحقوق بدرجة جيد جدا ، وكان عنوان رسالة الدكتوراه التي تدمها لجامعة القديس يوسف باللغة الفرنسية : « الاصلاح الزراعي في الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) » .

وفي عام ١٩٦١ زاول مهنة المحاماة في بيروت ودرس الاقتصاد في الجامعة الامريكية والحقوق في الجامعة اللبنانية . وفي أعقاب عام ١٩٦٤ التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية في بيت المقدس كمدير عام للدائرة السياسية الخارجية .

وفي مطلع عام ١٩٦٧ استقال من المنظمة وأسس مكتبا للمحاماة في العاصمة اللبنانية كما عاد الى تدريس الحقوق في الجامعة اللبنانية وتدريس الحقوق في جامعة بيروت العربية .

من آثاره القلمية : نشر الدكتور الدباغ مقالات مشبعة اتسمت بالعمق والشمول ، تناول فيها قضيةفلسطين من سائر ابعادها وجوانبها، وصنف كتبا جمعت بين القانون والسياسة والاقتصاد . ودونك اسماء المطبوع من مؤلفاته :

١ ـ السيادة العربية على خليج العقبة ومضيق تيران ـ بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (١٩٦٧) .

٢ ـ الاتحاد السوفييتي وقضية فلسطين ـ بيروت ، مركز الابحاث (١٩٦٨)

٣ ـ الاصلاح الزراعي في الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) .

٤ ـ دراسات في الدولة الاتحادية (الجزء الثاني) (مترجم عن الانكليزية) بقلم روبرت بوي مكارك فريدرك ـ بيروت ، الدار الشرقية للطباعة والنشر (١٩٦٥) .

٥ ـ الانماء الاقتصادي في الكويت ـ لبنك الانشاء والتعمير (مترجم عن الانكليزية) بيروت (١٩٦٦) .

٦ ـ مدخل الى فلسفة القانون (مترجم عن الانكليزية بقلم روسكو باوند) ـ بيروت (١٩٦٧) .

٨ ـ الدخل والعمالة والنمو الاقتصادي (الجزء الثاني) (مترجم عن الانكليزية) بقلم والاس بيترسون ـ بيروت (١٩٦٨) .

٩ ـ القضية الفلسطينية ، لندوة القانونيين العرب بالجزائر (مترجم عن الفرنسية) ـ بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (١٩٦٨) .

نموذج من نثره : « المجتمع الدولي على خلاف المجتمع المحلي داخل الدولة لا يزال مجتمعا بدائيا . والمقصود بذلك ان القوة ، بدلا من القانون ، لا تزال تقوم بدور كبير في تسيير مقدراته وفي الحسم في المنازعات الناشئة بين اشخاصه . ومن هنا ينشأ تفاوت في الواقع بين من يكون له الحق قانونيا ونظريا وبين من يقوم بممارسة هذا الحق فعليا ، وتكون السياسة المدعومة بالقوة أفعل بكثير ، في المحيط الدولي ، من الحق المجرد من القوة .

ومن البديهي ان سياسات الدول لا تتقرر وفق الاعتبارات القانونية وحدها . فالسياسيون يعملون على ما يبدو وفق ما تمليه عليهم مصالح دولهم ، ومن ثم يلجأون الى القانون لتبرير ما يتخذون من اجراءات ومواقف . وهكذا يصبح القانون مبررا ومفسرا ومسوغا ، لا هاديا ومسيرا وضابطا .

ويخطىء من يظن ، والمجتمع الدولي على ما هو عليه من بدائية تتصف بالرضوخ للقوة والامر الواقع ، ان اعتماد النهج القانوني وما يستتبع من تذرع بالحق في المجالات والاندية الدولية ، كاف لتطبيق القانون ولوضع الحق في نصابه ، وان مثل من يظن هذا الظن كمثل القابض على الريح أو الحارث في الارض .

ولعل أكبر دليل على ما نذهب اليه هو الملابسات التي رافقت قضية الملاحة في خليج العقبة ومضيق تيران . ففي الصفحات التالية سيبدو جليا ان الحقوق الدولية المجردة ، مهما كانت واضحة وكاملة وثابتة ، لن تنفذ ، وان القانون الدولي يمتهن ويبقى حبرا على ورق أمام جبروت القوة وعتو العدوان وضغط المصالح ، وتسلط الرغبات والمنافع » .

٣ ـ خيري حماد

ظل الشعار الذي آمن به الاستاذ خيري ، ومضى يردده في ندواته ومجالسه قول الرئيس الفرنسي شارل ديغول : « مهما حدث فان شعلة المقاومة يجب ان لا تنطفىء ... وهي لن تنطفىء ! » .

ولد « خيري » في نابلس سنة ١٩١٩ وأنهى دراستيه الابتدائية والثانوية في « المدرسة الصلاحية » بنابلس ونال شهادته الثانوية منها سنة ١٩٣١ والتحق ب « الكلية العربية » في بيت المقدس وأمضى فيها سنتين حاز بعدهما شهادة الاجتياز للتعليم العالي وكان ترتيبه الاول .

وفي سنة ١٩٣٣ دخل الجامعة الاميركية في بيروت ونال شهادة بكالوريوس اداب سنة ١٩٣٦ . وخلال دراسته الجامعية نشر اول مقال بقلمه في جريدة « النهار » بمناسبة وعد بلفور واسهم في تحرير « صفحة الطلبة » التي كانت تصدرها « النهار » يوم الثلاثاء من كل اسبوع وانتخب سكرتيرا للنادي الفلسطيني في بيروت وترأس تحرير مجلة « الكلية » ونشر فيها طائفة من المقالات . وابرز المقالات التي نشرتها مجلة « الرسالة » القاهرية بقلمه مسلسلة في تسع حلقات بعنوان « الكائنات الغيبية في شعر شكسبير » و « البطولة والابطال عند كارليل » في سبع حلقات .

وبعد فراغه من الدارسة الجامعية قصد العراق مدرسا وأمضى خمس سنوات موزعة على ثانويات بغداد والبصرة والسليمانية ، وعقب نشوب ثورة رشيد عالي الكيلاني (في ٢ مايو ١٩٤١) طلق التعليم وتولى في بغداد رئاسة تحرير جريدة « الاستقلال » اليومية لصاحبها المرحوم عبد الغفور البدري ، وكانت هذه الصحيفة لسان حال الحركة الوطنية فيالعراق ، ثماعتقل «خيري» فيبغداد مع المناضلينالفلسطينيين عبد القادر وعمر الحسيني وحسن وشكيب القطب جزاء المقالات التي كان ينشرها وعلاقته بثورة الكيلاني . ثم نقل الى معتقل «نقرة السلمان» في الصحراء وأمضى فيه سنة و ٤٣ يوما ، وبعد الافراج عنه عاد الى فلسطين في سنة ١٩٤٣ ، وتولى رئاسة تحرير جريدة « الدفاع » بيافا (من ١٩٤٣ ـ ١٩٤٦) . وفي عام ١٩٤٦ أصدر في القدس مجلة اسبوعية باسم « المستقبل »وواصل اصدارها حتى تاريخ ٤ ديسمبر ١٩٤٧ وتولى رئاسة تحرير جريدة « الوحدة » المقدسية والتي كانت لسان حال الحركة الوطنية في فلسطين .

وفي اوائل مايو (أيار) ١٩٤٨ بارح القدس الى عمان (عاصمة الاردن) وأصدر نشرة اخبارية باسم « وكالة الانباء العربية » وتولى رئاسة تحرير جريدة «الاردن» اليومية وراسل جريدة «ديلي اكسبرس» اللندنية .

وبعد مصرع الملك عبد الله بن الحسين (يوم الجمعة ٢٠ تموز ١٩٥١) في المسجد الاقصى المبارك عمل الاستاذ خيري مستشارا صحفيا في الديوان الملكي في عهد الملك طلال بن عبد الله ثم مساعدا لمدير المطبوعات والنشر ثم مديرا عاما للمطبوعات والنشر ثم سكرتيرا لرئاسة الوزراء . وفي اعقاب عام ١٩٥٥ أقام في بيروت وراسل كبريات

من الصحف الاجنبية ، وفي عام ١٩٥٧ استقر في دمشق وراسل صحفا اجنبية ثم عاد الى بيروت في اواخر عام ١٩٥٩ . وفي عام ١٩٦٢ انتقل الى القاهرة وعكف على التأليف والترجمة وما زال يشغل فيها :

أ ـ منصب الامين العام لاتحاد كتاب فلسطين .

ب ـ منصب الامين العام المساعد لاتحاد الادباء العرب .

ج ـ عضو اللجنة التنفيذية للمجلس الاعلى للفنون والاداب في الجمهورية العربية المتحدة .

وفي عام ١٩٦٤ نال « وسام الاستحقاق » من الجمهورية العربية المتحدة في عيد « العلم » تقديرا للجهد الذي يبذله في مجال الفكر العربي .

من آثاره القلمية : لم يذكر تاريخ ادبنا المعاصر كاتبا بارزا أثرى الخزانة العربية كما أثراها الاستاذ خيري حماد الذي أهدى هذه الخزانة ١٢٠ كتابا بين مؤلف ومترجم . ومن ابرز آثاره القلمية التي عرفناها :

١ ـ ثورة العراق (١٩٦٠)
٢ ـ قضايانا في الامم المتحدة (١٩٦٢)
٣ ـ أعمدة الاستعمار البريطاني في الوطن العربي (١٩٦٢)
٤ ـ كي نستعيد فلسطين (١٩٦٣)
٥ ـ أضواء وآراء في القومية والحرية (١٩٦٤)
٦ ـ صور من أوربا (١٩٦٥)
٧ ـ عبد الله فيلبي (١٩٦٣)
٨ ـ ادعاءات اسرائيل بين الحق التاريخي وحق السيادة (١٩٦٥)
٩ ـ أبعاد المعركة مع اسرائيل والاستعمار (١٩٦٧)
١٠ ـ حتمية الوحدة العربية (١٩٦٨)
١١ ـ الصهيونية : جذورها واهدافها (١٩٦٨) .
١٢ ـ حقوق الانسان في قضية فلسطين (تحت الطبع)

ومن ابرز آثاره المترجمة :

١ ـ تاريخ المانيا الهتلرية (تاليف وليم شيرر) (١٩٦٣) ـ أربعة مجلدات بلغت ٢٥٠٠ صفحة
٢ ـ مذكرات ونستون تشرشل ـ ثلاثة مجلدات (١٩٦٢)
٣ ـ مذكرات ايدن ـ مجلدان (١٩٦٠)
٤ ـ مذكرات ديغول ـ مجلدان (١٩٦٦)
٥ ـ مطارحات ميكافللي (١٩٦٢)
٦ ـ الامير لميكافللي (١٩٦٠)
٧ ـ لمن تقرع الاجراس ؟ لارنست همنجواي (١٩٦٤)
٨ ـ الشيوعية ـ لهارلد لاسكي (١٩٦١)
٩ ـ السلطان ـ لبرتراند راسل (١٩٦٢)
١٠ ـ ثورة الجزائر ـ لجوان غيلسبي (١٩٦١)
١١ ـ قضايا عربية ـ لأحمد الشقيري (١٩٦١)
١٢ ـ دفاعا عن فلسطين والجزائر ـ لأحمد الشقيري (١٩٦٢)
١٣ ـ فرق تخسر ـ لايونيدس (١٩٦١)
١٤ ـ الطريق الى السويس ـ بقلم ارسكن شايلدرز (١٩٦٢)
١٥ ـ سنوات في اليمن وحضرموت بقلم ايفا هيويك (١٩٦٣)
١٦ ـ المنفى والملكوت ـ لالبير كامي (١٩٦٢)
١٨ ـ معركة البترول ـ لاستانتون هوب (١٩٦٢)
١٨ ـ الرأسمالية والاشتراكية والديموقراطية لجوزيف شومبيتر (جزآن) (١٩٦٣)
١٩ ـ كيف نجح عبد الناصر ؟ لكارنجيا (١٩٥٦)
٢٠ ـ حوار مع نهرو ـ لكارنجيا (١٩٦١)
٢١ ـ امراة غير ذات قيمة ومسرحيات اخرى لاوسكار وايد (١٩٦١)
٢٢ ـ الانسان عند الغزالي (مترجم عن الانكليزية) للدكتور علي عيسى عثمان (١٩٦٤)
٢٣ ـ السياسة بين الامم ـ لهانز مورغنتاو (١٩٦٥)
٢٤ ـ صور من مصر ـ لايشل مانين (١٩٦٥)
٢٥ ـ بينتو موسوليني ـ بقلم موسوليني (١٩٦٥)
٢٦ ـ الاصلاح الزراعي والانماء في الشرق الاوسط ـ لدورين وارنر (١٩٦٣)
٢٧ ـ اليهودي العالمي ـ لهنري فورد (١٩٦٨)
٢٨ ـ الازمة .. القصة السرية لمعركة السويس ـ لروبرتسون (١٩٦٧)
٢٩ ـ الفتوحات العربية الكبرى ـ لجون باجوت جلوب (١٩٦٣)
٣٠ الامبراطورية العربية الكبرى ـ لجون باجوت جلوب (١٩٦٧)
٣١ ـ أهمية الحياة ـ للفيلسوف الصيني لين يوتانغ (١٩٦٧) .
٣٢ ـ مفارق الطرق الى اسرائيل ـ لكريستوفر سايكس (١٩٦٧)
٣٣ ـ الجندية في خدمة السلام مذكرات الجنرال فان هورن كبير مراقبي الهدنه ـ (١٩٦٨)
٣٤ ـ السد العالي في اسوان لتوم ليتل (١٩٦٨)

وللاستاذ حماد تحت الطبع :

١ ـ انحلال الامبراطورية العربية لجون باجوت جلوب
٢ ـ عصور الظلام ـ لجون باجوت جلوب
٣ ـ العرب : تاريخهم ومستقبلهم للمستشرق الفرنسي جاك بيرك
٤ ـ الجوانب الاجتماعية للتنمية الاقتصادية ـ بقلم لي هانت
٥ ـ ثورة التصنيع في مصر ـ لباتريك اوبريان
٦ ـ تاريخ الحرب العالمية الثانية ـ لونستون تشرشل ـ ١٢ مجلدا في ٨٠٠٠ صفحة .

أما مؤلفات الجنرال جان باجوت جلوب الآنف ذكرها فتؤلف تاريخ العرب والاسلام منذ العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الخامس عشر ، وسيخرجها الاستاذ خيري في مجموعة واحدة تحت عنوان « تاريخ العرب والاسلام » .

نموذج من نثره : « الاديب صفة مطلقة ، تطلق على كل من يمارس حرفة الادب ، سواء أكان شاعرا أم كاتبا ، ناقدا ام شارحا ومفسرا ، ولكن هاوي الادب لا يصبح أديبا ، ولا يرتفع عن منزلة المتأدب ، الا اذا كان منتجا وكان انتاجه الادبي يحمل ، بالاضافة الى ما يحمله من خير ونفع للمجتمع الذي يعيش فيه ، تفتحا قوميا وانسانيا بنقله من الحيز الاقليمي الضيق ، الى المجال القومي الواسع الافاق ، ومنه الى المدى العالمي الفسيح والشاسع الارجاء .

ولكن مهما سمت مكانة الاديب على المستوى العالمي ، ومهما حمل انتاجه الطابع الانساني الغزير الشمول ، فانه يظل مقيدا بواقع المجتمع الذي يعيش فيه ، بواقع ما يحمله هذا المجتمع من تطلعات نحو الحياة الفضلى ، والا فصم نفسه عن مجتمعه ، وتاه في بحور الانسانية المترامية الاطراف ، لا يعرف له مسلكا صحيحا فيها وان خيل اليه انه يؤدي رسالة انسانية تتسم بالخير ، فالاديب الذي يفصم نفسه عن مجتمعه ، كالمنبت لا أرضا قطع ، ولاظهرا أبقى ، تتقاذفه الامواج ، وهو في حيرة من أمره ، لا يعرف له مستقرا ، ويضيع وسط لججها المتلاطمة فينكر ذاته قبل ان ينكر المجتمع الذي ينتمي اليه .

ومن هنا يظل لزاما على الاديب ان يبقى وثيق الصلة بمجتمعه مهما علت مكانته الانسانية ، وان يعمل لخير هذا المجتمع وتحقيق تطلعاته واهدافه ، ومن هنا تصبح صفة المثقف الذي يشد نفسه الى جذوره في مجتمعه لازمة للاديب ، كما تتضح رسالته الحقة في الحياة التي يعيشها وفي المجتمع الذي ينتمي اليه ، وفي الكون الذي يؤلف واحدا من أفراده » .

٤ ـ راجي صهيون

ولد « راجي » في حيفا (بفلسطين) عام ١٩٢٠ وتلقى دراسته الثانوية في كلية تراساتطه بالقدس وتخرج منها في عام ١٩٣٧ ونال شهادة المترك الفلسطيني وعمل اربع سنوات في حقل التربية والتعليم .

وفي عام ١٩٤١ بدأ عمله الاذاعي ، وهو الحقل الرئيسي في حياته ، مذيعا ومترجما في دار الاذاعة الفلسطينية بالقدس . وتدرج في مختلف مناصبها حتى اصبح مساعدا لمراقب البرامج العربية في عام ١٩٤٦ . وبعد وقوع النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ عين مساعدا لمدير دار الاذاعة الاردنية واستمر في عمله هذا حتى عام ١٩٥٢ ، وفي العام نفسه انتقل للعمل في بيروت مديرا للشؤون الذاتية في شركة طيران الشرق الاوسط ، فضابط علاقات عامة في وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين .

وفي عام ١٩٥٤ التحق بالجامعة الاميركية في بيروت لاتمام دراسته الجامعية وفي عام ١٩٥٦ نال شهادة (ب.ع) وفي عام ١٩٥٩ نال شهادة الماجستير من الجامعة نفسها في الادارة والعلوم السياسية .

ولراجي نشاط صحفي واسع ، فقد كان أحد العاملين في الصحافة الاردنية ، وفي اثناء عمله في شركة « طيران الشرق الاوسط » انشا للشركة اول مجلة للطيران أسماها « أجنحة الارز » وأصدرها باللغتين العربية والانكليزية .

وفي عام ١٩٦٠ انشأ مجلة « الرائد العربي » في بيروت لمعالجة الشؤون الاقتصادية والقانونية والعلوم وفي مطلع عام ١٩٦٣ نقلها الى الكويت .

وفي خريف عام ١٩٦٤ التحق بـ « منظمة التحرير الفلسطينية » وعين مديرا عاما للاعلام والتوجيه القومي ، وفي صيف عام ١٩٦٦ عين رئيسا لهذه الدائرة وعضوا في اللجنة التنفيذية وفي اعقاب عام ١٩٦٦ استقال من المنظمة وعين عام ١٩٦٧ مستشارا في وزارة الاعلام الاردنية لكنه آثر العودة الى بيروت والعمل فيها .

من اثاره القلمية : كتب « راجي » الكثير من الخطب والمقالات والبيانات والبرامج والروايات في دور الاذاعة العربية وفي الصحف العربية والاجنبية ، وترجم عام ١٩٦٤ كتاب « مدخل الى الصحافة » للكاتب الاميركي ف. فريزر بوند .

نموذج من نثره : « يعني الاسلوب ، بالنسبة للصحفي ، اعطاء الحقائق بما يمكن من الدقة والسرعة واليسر والظرف . وافضل الاساليب الصحفية هو ذلك الاسلوب الذي يستدل عليه بافضل الموضوعات والاستهلالات . ولكن ، كيف يستطيع المخبر الصغير ان يمتلك هذا الاسلوب ؟ اذا هو تطلع الى مدرسة واحدة بحثا عن الجواب وجد ان الاسلوب هو الانسان . وذلك يعني ان الغريزة المغروسة في شخصية الانسان تنمو بممارسة الكتابة حتى النضج . فاذا بحث عن الجواب في غير هذا الموضع وجد ان الاسلوب لا يلعب سوى دور « القرد المثابر » ، وذلك يعني انه لا يستطيع التمكن من الاسلوب الا بالكد والعمل الشاق في ترسم خطى كاتب اخر . وربما كان هناك شيء من الحقيقة في كلتا النظريتين ، ولكن لا الحقيقة بكاملها ، ولذلك لناخذ نحن موقفا وسطا بينهما ، ونفترض ان الاسلوب نصفه خلق ونصفه الاخر تقليد .

بالنسبة الى الجزء الخلاق الصرف ، يجب الا يتدخل أي عامل خارجي ، ذلك ان من حق الكاتب نفسه ان يحافظ على تلك النزعة الشخصية الضئيلة ، على ذلك القدر المجهول فيه ، تلك الشرارة او الومضة التي تسطع من داخل الكاتب نفسه وتؤكد شخصيته هو ولا أحد غيره ـ ومن حقه ان ينميها في نفسه . ويتوجب عليه ان يتعهد تلك الومضة ويغذيها بوقود من خياله ويحميها من العوامل المثبطة ، وان ينعشها بالتشجيع ، من جهة ، وبالنقد البناء ، من جهة اخرى . ومن يدري ؟ فلربما اشتد الوميض مع الزمن فاصبح لهبا ثابت اللمعان .

اما بالنسبة الى التقليد في الاسلوب ، فللكاتب الجديد نماذج ممتازة يسترشد بها ، وكانها امامه لوحات الاشارة او نصب الاميال ترشده على مدى الطريق الذي يؤدي به نحو التمكن من الاسلوب الصحفي الجميل . بيد ان كل ما تستطيع هذه النماذج ان تفعله هو مجرد الانتصاب امامه وارشاده . اما عملية السير نفسها ، فيتوجب على المخبر الصغير نفسه ان يقوم بها . يجب عليه ان يكتب ، وان يكتب ، وان يكتب ! » .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

بيت الرهباء

بيتي في لبنان
اذكره في الكورةالخضراء ، في بيروت
عشت لديه سفري محطة محطه
كانني عند ازدحام الناس
يوحشني السماع والعيان

مهاجر صباحي الافول
عكازي الاوهام والذهول
ملء جرابي نتف النسيان
في كل يوم ازرق تموت
من قلبي الاحلام .

مسافر في عاصف مريب
ليس له شط ولا رفيق
تدفعه الرياح عن ارض البشر
تذره الشمس على المغيب
وكلما عن له عمران
تحطم العكاز في الجفون
وجمدت في الخطوة الطريق

فاي بيت نسمة وريش
يمضي الى حيث تغيب الشمس
يحمله في جفنه درويش
بعض ثوانيه رماد الامس
ترصف كل لفتة من ياسه
آجرة كالحة في رمسه

علي شلاق



بقلم رياض نصور

كنت اجتاز الوادي عائدا الى قريتي . منذ قليل لفظني القطار عائدا من المدينة بلا امل . تبددت احلامي . انتهت وها انا صريع الفشل . اعود الى قريتي وامي حاملا بين يدي شهادتي المضمومة كجريدة مهترئة عتيقة لن البث ان القي بها الى سلة المهملات .

الطريق وعرة شاقة واقدامي الواهنة تضرب الحصى والاحجار فتزعج الليل الساجي .

السحب الراكضة تلطخ وجه الافق وتحجب اشعة القمر ثم تمضي بعيدا . يطل القمر بوجهه من جديد مادا اشعته لتضيء الكون ، وتفتح لي طريق العودة الى الام والمنزل والبيدر ... جائع انا ومتعب . قدماي مثقلتان اجرهما جرا . الدماء تمور ملتهبة في عروقي فاحس بوخز ابر تدق حنايا جسدي كله ..

ترى ماذا اقول لاهل قريتي عندما يلتفون حولي سائلين ؟؟ ...

لماذا عدت يا فريد ؟

الم تجد عملا في المدينة ؟

لماذا سهرت الليل تدرس على ضوء السراج الخافت لتنال شهادتك؟ التعود الى القرية لا عمل لك ؟كجذع سنديانة عتيقة ؟ كعجوز متعب اهمل حقله فاهمله الحقل ! .

انت لا تصلح للزراعة ولحياة القرية ... ساعدك لم يتمرن على العمل انه كساعد كعاب مسترخية ؟ اناملك رقيقة كانامل طفل رضيع .. لا تقوى على ضرب الارض لتشقها وتزرعها فتتفجر شعلة اخضرار ونور .

مكانك ليس بيننا يا فريد ! القرية خلقت لزنود الرجال العاملين ابدا في الارض .

ها انت تعود مكدودا ، مريضا جائعا ... لن تاكل من خبزنا ! لن تشرب من مائنا ! لن تكون عالة علينا ! ... اذهب بعيدا عنا .. عد الى كتبك ، واحش دماغك بهراء سخيف ! واسال نفسك بعد ذلك ماذا جنيت بعد تعب وسهر ودرس .. لا شيء ! بعد سنوات ستنسى ما اختزنته في راسك ... اما نحن فقد حشونا الارض فاعطتنا ما ناكل ونطعم لاخرين . استدانت منا ووفت ما اخذت. لم تضق ذرعا بنا ولم نضق بها اعطيناها فتقبلت عطاءنا ثم اعطتنا فاجزلت في العطاء . اما انت فقد ضاق راسك المسكين بما اختزن لم تفرغ ، ولم تعط . ظللت كصندوق جدتنا الخشبي الكبير . كان مليئا دائما بالجوز والزبيب ، ومخلفات جدنا ، وثياب عرسها وحذائها ذي الكعب العالي القديم ... »

... يا انا ، يا صندوق جدتي العتيق ! يا راسي المثقل بالجوز والزبيب . ماذا تريد ؟ ومن انت ؟ والى اين انت ذاهب ؟ .. ستنام بعد قليل على فراش امك . وستمر بيدها الحانية الرقيقة فوق جبهتك ... بينما تنام هي على الحصير . سيعود والدك مرهقا من الحقل .. سيكون انسانا محطما بثقل السن وجهد العمل . سيقول لك اهلا وهو يفتح باب الدار . يطعمك عشاءه وينام على الطوى . اما انت يا صندوق جدتي العتيق ، ستظل عالة على الاب والام والقرية كلها يا ابن القرية . لا يمكنك ان تجد عملا .. دراستك لم تنهها بعد . شهادتك كجريدة عتيقة مهترئة يحملها الكثيرون . وانت لست وحدك .. انت كالكثيرين ، لم تخلص للارض التي احبتك . هجرتها ، بعتها بثمن رخيص ، بعتها بجريدة مهترئة ...

آه .. لو ظللت ازحف فوق ارضنا الحبيبة . اقبل ترابها . اتنسم اريجها . اتضوع رائحة زهورها . امتح من مياهها العذبة . ارش بخيراتها حبالا من نور . استضيء لهب شمسها ، واستحم اشعة قمرها واحتسي الدفء من شلالات فيء ونور وتضوع عبير في مراتعها الثرة اللامتناهية . النور يكلل هامات جبالها الشامخة ، والهواء يداعب اشجارها فتتراقص خيالات نور وافياء ظلال ... دعوني فلاحا في ارضي . دعوني اعب من نورها ونارها . دعوني افترشها واذيب كياني في ترابها ... واتركها امتداد اذرع خضراء ، تمتد الى السماء وتلتحم مع الافق .

دعيني يا ارضي يا قريتي اسقي ترابك بدموعي . دعيني اقول لافواج بنيك الهاربين ... لن تعودوا باكثر من ورقة وسخة مهترئة . اما هنا فلنا لارض والسماء . لنا كل شيء .. لنا الجبل الشامخ والينابيع المتفصدة من قلب الجبل ، حبال مرجان وعقيق .. لنا الكون اغنية طمانينة وسلام .

خاب الامل وعدت من المدينة تافها فارغا كنفحة صغيرة من زوبعة هائجة اجتاحت المدينة ، كذرة رماد ...

عشرات من المتسكعين والمتسكعات على اعتاب الوظيفة . ذات يوم كنا اكثر من خمسين شابا وسبع فتيات . نجح منهن خمس وسقط الخمسون . وكنا نحن الشباب ننظر الى بعضنا بعضا ، وقد تجمع في نفوسنا شيء من الضحك والبكاء ، من الهدوء والثورة ، من



التمرد والاستسلام ، من التساؤل والاحجام . كنا ننظر الى وجوهنا في المرآة فنراها خشنة تملؤها اخاديد من الالم . والذعر من المستقبل المجهول يرتسم في اعيننا باحرف من نار .. كنا ننظر الى ما تركه الزمن على وجوهنا من كآبة مسيطرة مخيفة . ظلال من يأس ومشاعر من قنوط تطفو فتحجب الضياء ، وتظلل العينين باغشية كثيفة من الم وظلام ... ويغشى نفوسنا القلق الممض ... ومع هذا ننظر اليهن الى غريماتنا كزهرات ربيعية تضوع عبيرا وجمالا .. احداهن تقدمت الى الامتحان بخطوات ثابتة . كانت اجملهن شكلا . خصلات شعرها الاسود تتهدل على كتفيها . عيناها البراقتان تتألقان كبيرتين جميلتين كعيني بقرتنا الحلوب . وجهها المدور ببشرته الناعمة كتفاحة حان قطافها وصدرها يتعالى ضاربا عيوننا الفارغة الآكلة وقلوبنا التي تحترق بصمت .. كانت تمر من امامنا وهي تضرب بقدمها الارض بعنفوان غير آبهة بعيوننا المتطايرة ... كم احببتها. وتصورت انني لو نجحت كالفارس الشجاع ساخلي لها مكاني قائلا : تعالي يا سيدتي الجميلة ، يا حوريتي ، خذي مكاني . خذي حياتي .. خذي ما حصلت عليه بالدماء والدموع . وتتربع حوريتي مكاني ، وانلاشى انا اتراجع اذوب . فلقد احببتها بخوف ورهبة كما تحب الارض الشمس .. ونجحت مع اربع فتيات اخريات . وبقي الشباب يتسكعون على الارصفة ببلاهة وشرود . لا أمل لهم . لا واقع ولا مستقبل ... تافهون مهزومون امام واقع الحياة ..

وتساءل : كيف يحدث نفسه عن الحب بالرغم من انه لم يعرف الحب. عاشه في صمت مع نفسه ، مع خيالات تراءت له ، ومضت فبقي في كيانه شيء مجهول . حبيبته يتخيلها حسناء لا اجمل ، ولا ابهى. كتلة ضياء ونور . تتربع على عرش جمال . يرقص لها طربا وبهجة . ويعيش مع عروس احلامه في سبحات خاطفة غريبة ، لا موجودة، غير انها متناهية العذوبة والجمال .. كائن غريب لا حدود لجماله وابهته ونوره ...

ها هو وحده في طريقه من المدينة الى القرية . يسير على قدمين واهنتين . لم يعرف طعم القبلة ولا احس حلاوة الوجود . القرية كانت بدءه وهي منتهاه . القرية



رياض نصور

•

هي فردوسه المفقود . ابنة خالته الصغيرة الفضة كغصن لوز مزهر ستمنحه الدفء والحب والحنان . وسيجد اما كانسام الفجر رقة ووداعة ، كرقرقة مياه الجداول عذوبة . سيجد ابا وفيا كالارض التي علمته الوفاء . علمته ان يكون شديدا شدتها وقاسيا قساوة صخورها . علمته ان يكون وفيا مع ذلك طيبا فكان مثالا للطيبة والوفاء .

كل ما في القرية يهمس بعذوبة برقة لا متناهية . الهضبة توشوش الجبل . تحدثه قصة الوادي وما يجري في منحنياته وشعابه ، والطريق الى الوادي سلسلة اخضرار ونور وافياء وحياة . لقد خلف وراءه في المدينة صراخا وعربدة وجنون . ترك الناس يتعثرون ويندفعون في اتجاهات مختلفة بلا هدف ولا غاية . ضياع مجنون وابواق مسعورة وضجيج طويل . الفحيح المتواصل يصم الآذان وطرطرة بشعة قاسية تصدم الآذن ، تضربها بعنفوقساوة تقتلها ، تصمها ، لا تفتأ تضرب الرؤوس باستمرار . فؤوس تهوي بعنف .. تضربوتضرب .. دراجات نارية ذات اصوات رهيبة قاسية كفأس الحطاب ، تقطع اوردة الراس، تميت الاعصاب ، وتقتلها ببطء . انانيات تتسلط على كيان الناس . المحبة فقدت .. ماتت منذ امد بعيد . ولا شيء يشبع نهم المدينة الجائعة العطشى الى كل شيء ... تبتلع وتمتص كل شيء . القوي يأكل الضعيف يلتهمه ... يزدرد ما يشاء ويمضي . القوة تسيطر دائما والحقوق تداس . لا شيء يبقى سوى الامل الفارب . الواسطة هي الدعامة التي يقفز عليها اصحاب الغايات الى اهدافهم .. لا شيء يبقى حتى الامل يندثر ، يتلاشى ، يموت .

وعندما مات كل شيء اندثر الامل وتلاشى الجسد ومات الرجاء . ظل ثمة نور بعيد يومض لي تعال ... وها انا آت اليه .. آت يا قريتي احمل الحقد على المدينة . احمل كراهية لا حدود لها لانانيات لا حصر لها .. لفساد وهمجية وعبث واستهتار . احمل لابناء قريتي قصصا عن المدينة الضائعة في خضم ضوضائها . المدينة الهمجية ، اللاهية ، اللاهثة ،العابثة بمصير بني الانسان . ارضكم لكم يا ابناء قريتي ، لزنودكم السمراء تسقونها



امي

★

في اعالي التل .. في الصمت المهيب
يرقد القلب الذي اعطى واعطى
ثم اغفى
ذلك القلب الحبيب

في اعالي التل صعدت اليك
وغبار الدهر غطى قدمي
اثقلتني حادثات الدهر
يا امـي
اهاضت جانحي
فحملت الياس والآلام
القيها لديـك

في اعالي التل .. لا احمل وردا
كنقائـك
قد غرست العشب كي يخضر
صيفا وشتاء
كعطائـك

خفت ان انسى ادوس التراب
يا اماه في ذاك المصلى
شئت ان يهتف بي العشب
اذا انسيت .. قف
واخلع حذاءك
وانحنـى
قد قدس الترب هنا
قدسه أعظم حب

في أعالي التل يا اماه
اجثـو
نافثا آلام قلبي
فاهيبي بي
انا يا حب ايامي
ويا بهجة حبي
ها هنا .. ما فرق الموت
سوى اجسادنا
والروح تهدي

اسمى طوبى

وتزرعونها فتعطي . لا تهجروها الى المدينة . لا تتركوها نهبا للاشـــواك البرية . لا تتركوها تموت وتيبس . القريةجنتكم .. فلاتستبدلوا جنتكم بجحيم المدينة . بادلوها وفـاءهـا وفاء ، وطيبتهاطيبة ، ونقاءها نقاء . لا تتركوها مرعى البقر ، ومرتعـــا للاعشاب البرية الآكلة . ارضكـــم جنات زهر وطيـــب وحنـــان .. لا تستبدلوها بورقة قذرة تافهة . لا تقفوا ارتالا علىالابواب كالشحاذين بانتظار الوظيفة ، فالوظيفة لا يسمى لها الا الكســالى ، ومرضى التثاؤب والرتابة والضجر .

ولاحت بيوت لبنيـــة متفرقـــة . وهرت كلاب وفية . وانبعثت رائحة فياضة رهيفة ... دمعت عينـــاه وارتمى على الارض فقبل ترابهـــا ولم يقو على النهوض فزحف بجسده المتعب المتآكل والدموع تتســـاقط مدرارة من عينيه ... وازداد نباح الكلاب من خلف السور الشوكي .. فتح الباب اخيرا وظهر الشيخ علـى عتبته ... ومضى الابن زاحفا نحو ابيه كجريح آت من قلب المعركة .. ومد يده نحو ابيه فاخذه الشـــيخ بيديه ورفعه الى صــــدره وضمه بحنان بينما الصوت الناشج يقول : لقد عدت يا ابي سنعمل معا . ولـن امضي ثانيـــة الى المدينة مدينـة التثاؤب والموت والضجيج .

اللاذقية — رياض نصور



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية
ورئيس تحرير مجلة « رسالة المعلم »

* * *

يوم سوف ياتي

مرت بنا من عهد ليس بعيدا ذكرى الاسراء والمعراج ، وهي ذكرى كنا نحتفل بها كل عام ، يوم كانت فلسطين ملكا لاهلها ، يملأون ارجاءها ، فيغص بهم السهل والجبل ، وتمتلىء بهم المدينة والقرية ومضارب البادية ، وكان الناس في كل بلد عربي – يومذاك – وفي كل قطر من اقطار المسلمين ، يتجهون بقلوبهم وابصارهم الى البقعة المباركة ، التي كان اليها الاسراء ، وكان منها المعراج ، فيزدادون تعلقا بها وتقديسا لها ، كلما اطلت عليهم هذه الذكرى ، واستدارت بها السنون تتلاحق سنة بعد سنة .

تلك كانت ذكرى الاسراء والمعراج ، يوم كانت فلسطين ملكا لاهلها ، ومتجها لاخوانهم من العرب والمسلمين في كل ناحية من اطراف الارض ، يشدون اليها الرحال وهم في طريقهم الى مكة حاجين ، او عند منصرفهم منها راجعين الى اوطانهم .

ولكنها اليوم تمر بنا هذه الذكرى وقد تبدل في فلسطين الحال عما كان عليه ، واصبحت بكل ما فيها من مقدسات وامجاد وذكريات ، وبكل ما فيها من خيرات وثروات ونعيم .. اصبحت ملكا لغير العرب والمسلمين ، بل ملكا لغير اهلها الذين شرد معظمهم في آفاق الارض ، واخرجوا من ديارهم كارهين مبعدين .

انها مأساة من مثل مأساة الحروب الصليبية ، ان لم تكن شرا منها ، وان تاريخ الامس الرهيب في بيت المقدس وما حولها ، يعيد نفسه اليوم على نحو اشد رهبة واشد قسوة ، ويسجل صفحة دامية على الارض الطهور ، وهو ينتزع فيها الوطن من اهله ، ويزيل معالم العمران هناك بكل ما يملكه من باطل ، ليمحو صفحة التاريخ العربي ، ويسطر بدلا منها صفحة مزورة من حاضره البغيض .

ليت هؤلاء الذين جاءوا ليغتصبوا البلاد من اهلها في القرن العشرين ، وقد شمل الوعي فيه ارجاء العالم ، يعتبرون بمأساة الحروب الصليبية وما آلت اليه ، ليتهم يذكرون ان الوطن الذي انبت امثال صلاح الدين الايوبي ومن سار في ركابه من ابطال العرب والمسلمين ، كفيل بأن ينبت من مثلهم المئين تلو المئين .

ونحن على ما هو اثبت من اليقين ، بانه آت لا محالة ، ذلك اليوم الذي يسير فيه البطل المرتقب ومعه رهط المجاهدين من الاشداء ، وقد صدقوا النية فيما عاهدوا الله عليه ، لينتزعوا المسجد الاقصى وما حوله من الارض المباركة ، بما فيها من مقدسات ، من ايدي غاصبيها ، ويعيدوها الى اهلها الذين اخرجوا منها ظلمة وعدوانا .

ولن تعيقهم المصاعب والارزاء عن بلوغ تلك الغاية ، ولن يردهم العدوان عن ذلك ، مهما سلحه الباطل ومده بالمال والذخيرة ، ولسوف يكون كل واحد فيهم « صلاح الدين » ، الذي كان في احدى معاركه يتلظى جسده بالحمى ، فقال له احد المقربين له : « افلا تريح نفسك ريثما تشفى ؟ » . فرد عليه قائلا : « لن تكون راحة لاحد قبل ان يملأ يديه بالنصر !! » . وسوف يكون هذا الذي قاله « صلاح الدين » ، شعارا يتردد به الهتاف عاليا مدويا .

تلك آمال تمتلىء بها نفوسنا ، ولن يكون هذا الامل سرابا خداعا ان شاء الله ، ما دام كل يوم يطل علينا بما يدني ذلك الامل من الواقع ، ولن يكون بعيدا وراء المستقبل ذلك اليوم الذي نستقبل فيه ذكرى الاسراء والمعراج على ارض فلسطين الحبيبة الطهور ، وفي رحاب المسجد الاقصى موطن الاسراء والمعراج .

صحيفة الاخلاق

هنالك مشاهد كثيرة نبصرها في حياة كل يوم ، فلا نحفل بها ، ولا نقيم لها وزنا . ولا عجب في ذلك ، فلكل واحد منا من اموره ما يشغله ، ويصرفه عن امور

الناس . وكان من الطبيعي ان يكون هذا شأني منذ ايام . وانا اغشى احد هذه المجالس ، التي كثيرا ما تنتظم في مناسباتنا المختلفة ، فتحشد فيها السوان متنافرة من الناس ، يختلط بينهم حابل بنابل ، ويجتمع خلي بشجي على غير ميعاد .

وهناك ابصرت رجلا يتصدر ذلك المجلس ، ومن حوله جماعة يصغون اليه ، والفيتني اقلدهم في مثل اصغائهم آملا ان اجد فيما اسمع شيئا مما ينفع الناس . وانطلق الرجل يتحدث ، فيخوض في اخبار من لا اعرفهم فلا يدع لاحد منهم عيبا الا وينشره ، ولا يفوته ان يهول ويبالغ ويزيد ، ولم اره يخطيء مرة فيذكر خلال هذه المعايب حسنة واحدة ، كانما هؤلاء الذين يتحدث عنهم جردوا من معاني الانسانية . وادهشني من الرجل شدة يقظته في تقصي هذه المعايب ، وعدم تفريطه بواحدة منها، كانما هو سجل امين لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة .

ولعلك تسال : الا يحتمل ان يكونوا اعداءه فهو ينال منهم تشفيا وانتقاما ؟ ولقد خطر لي ان اسال مثل هذ السؤال ، ولكن الذي اوضح الجواب عليه حديث الرجل نفسه ، فهو حين يذكر وحدا ممن يستغيب يقول متحرزا خلال حديثه عنه : « اقول هذا مع انه صديقي » . وهو حين يذكر آخر يقول متحفظا : « انه صديقي ولكن ذلك لن يمنعني ان اقول كلمة الحق فيه » . او يقول عند ذكر آخر : « انني أعرفه ومن اجل هذا اصفه بما اعرف عنه »!

اذن فهم اصدقاؤه ومعارفه، ففيم نزوله في ساحتهم يا ترى ، ما داموا كذلك منه ؟ ولعل الجواب الشافي على ذلك، انهم جميعا افضل منه، وقد سبقوه كلهم في ميادين الحياة ، وبعد ان اعجزه اللحاق بهم والوصول الى مثل ما وصلوا اليه ، شعر في أعماق نفسه بان الحسد يمزقه ، بل شعر ان هذا الحسد يضرم في اعماقه نارا متاججة لا يخفف من ضرامها الا نيله منهم وتحامله عليهم .

انه الحسد اذن ، وهو السلاح الكليل الذي لا يجد غيره جماعة العاثرين من الناس ، فيجرحون به من سبقوهم الى مراتب النجاح ، ويتوهمون انهم ينالون بـه منهم ، ويحولونهم عما وصلوا اليه بالكد والداب والسعي المرير ، وما كانوا ليبلغوا به ما يريدون .

انها علامة فارقة تستطيع ان تميز بها الناجحين من الفاشلين ، والمجدين من المتواكلين . ولن تجد ناجحا متفوقا ينصرف الى سواه من الناجحين لينال منهم ، وانما هي تعلة المحرومين من مثل نجاحه .

ان لكل انسان معايب وفضائل ، وان العين التي لا ترى الا المعايب لهي عين عميت عن الخير ، وان الذي لا يتحدث الا عن فضائل الناس ، انما يدلهم على معادن الخير في نفسه ، فهو لا يرى الا ما يحب من الفضيلة ، ويتجافى عما يكره من الشر . وانك لن تعدم أن تجد في اي انسان ــ كائنا ما كان ــ ناحية من نواحي الخير . فجدير بك ان تتحدث عنها حين تذكره عند غيره . وتلك بحديثك هذا تفسح لمن تحدثهم مجال الحكم عليك ، فان حديث الرجل صحيفة اخلاقه ، فلتكن هذه الصحيفة بيضاء مشرقة بما لا تنبو عنه الاسماع . .

الى ايـن المنطلـق

فاجاني صاحبي بالسؤال قائلا :

« انت انسان تعيش في هذا البلد واحدا من اهله ، فدعني اسالك لتجيبني في حدود هذه المواطنة ، اجابة مواطن يشعر بشعور الاخرين ، لا اجابة مختص يعتمد على البرهان والدليل والشواهد » .

فقلت وانا اعجب لهذا التمهيد : « وعن اي شيء تريد ان تسالني ؟ » .

فقال : « اسالك عن (المسرح الاردني) ، عند اية نقطة يقف والى اي اتجاه يسير ، وما هو حاله اذا قيس بسواه ؟ » .

فقلت : « على ان لا تنتظر مني اجابة صاحب لاختصاص » .

فقال : « لا عليك . . لقد اعفيتك من ذلك » .

فقلت : « في حدود مايراه المواطن ، اظن ان المسرح في الاردن ما يزال حديث العهد قريب التاريخ ، ولكنه رغم ذلك استطاع ان يثبت وجوده ، وان يقف على قدميه وان يقدم في داخل الاردن وخارجه ثمرة جهده ، وحصاد جهاده ، فاذا هو موضع اعجاب اولئك الذين شهدوه ، ومحل تقديرهم واحترامهم .

وحين يذكر (المسرح الاردني) تتجه الانظار اول ما تتجه الى الاسرة الفنية التي تسمي نفسها « اسرة المسرح الاردني » ، والتي تتبناها « دائرة الثقافة والفنون » في وزارة الاعلام ، وذلك لانها استطاعت ان تثبت كيان المسرح الاردني وان تقف به على قدميه ، وان تبرز له شخصية يحس بها المواطنون في الاردن ، كما يحس بها اشقاؤنا العرب في كثير من الاقطار المجاورة .

وان الذين اتيح لهم عندنا في الاردن ان يشاهدوا مسرحية « الليدي وندرمير » التي كانت أول بواكير انتاج هذه الاسرة الفنية ، استطاعوا ان يعيشوا في غمرة من التفاؤل ، وان يتوقعوا لهذه الاسرة الفنية الناشئة كل فلاح ونجاح ، مع كل خطوة تخطوها في المستقبل .

ثم لم يلبث ان استحال هذا الذي توقعوه الى حقيقة مع المسرحيات التي عرضتها هذه الاسرة فيما بعد ، وكانت قد استكملت فيها جميع ما سجل عليها من المآخذ ، في المسرحية الاولى ، حتى ولو كانت هذه المآخذ بسيطة هينة، مما لا يمس الجوهر أو بدانيه .

وقد تجلت خطوات هذا النجاح وهي تتعاقب واحدة بعد اخرى في المسرحيات المتلاحقة التي كانت على التوالي : « الاشباح » و « الفخ » و « البيت السعيد »

الى القادم الغريب

●

رؤاك تحطم ما أدعي
وصوتك وشم على مسمعي
برغم المسافات ما بيننا
برغم رحيلك تبقى معي
وتهتف بي عبر كل زمان
أيا ابنة الشرق لا تجزعي

تعال معي ان هذا الزحام
دعانا اقتسارا .. فانك ظلي
تعال .. لعل اشتباك اليدين
يحطم ضعفك يسحق غلي
تعال .. فقد لا تكون وحيدا
وانت تنوء بثقل كثقلي

انتساب عبر الربوع « تعالي »
نداء تعيد صداه الجبال
ايقبل بعد الربيع المولي
وتشرق شمس ، وتجني غلال
ألقاك .. ؟ ام كان محض احتمال
ووهما يمر ببالي .. سؤال

دمشق
سلافة العامري

و « المشكلة » و « رجل القدر » و « كم انت جميل » و « مركب بلا صياد » و « افول القمر » و « موتى بلا قبور » و « بيت الدمية » و « الوعد » و « البرجوازي النبيل » . وكانت خلال سنوات ثلاث وفي مواعيد محددة .

وحين نقارن هذا الذي انجزته « اسرة المسرح الاردني » حتى اليوم على قصر مداه في عمر الزمن ، بذاك الذي انجزته اسرة المسرح العربي في اقطار عربية اخرى ، اجتازت مرحلة طويلة مع الايام ، نجدها قد وقفت به الى جانبها وقوف الند للند ، وتطاولت به تجاربها في مضمارها الذي سارت فيه السنين الطوال من قبلها . وقد لمس هذا الكثيرون واحسوا به احساسا لا يخالطه شك ، وانه ليس بالقليل الهين ، بل هو كثير يحفل به ، ويقام له كل وزن .

الى هنا وصل المسرح الاردني ــ في رايي ــ وتلك هي النقطة التي وقف عندها ، واما الاتجاه الذي يسير اليه ، فهو الاتجاه نحو الافضل والاكمل ، وما دام ــ بهذا الذي وقف عنده ــ بلغ هذا المدى من مجاراة الاخرين والسير معهم مسيرة الند والمثيل ، فهو في ذاك الذي يهدف اليه ، سوف يبلغ ما يكون به موضع الاعجاب والتقدير ، وان نهاية كل أمر من الامور ، يستطيع ان يقدر معالم حدودها ، وان يخمن آفاق ابعادها على ضوء تلك الخطوات الناجحة التي سارت بها صعدا تلك البداية فيه .

ويخيل الي ان الامر سوف يكون كذلك مع الاسرة الفنية ، التي يقوم عليها عماد المسرح الاردني ، وما دام قد حالفها النجاح مع البداية ، فان الامل معقود على ان يكون مثل هذا النجاح حليفها ، مع كل انجاز فني تواجه به الجمهور في الاردن وخارجه ، حتى تبلغ ذروة الاجادة والابداع ، وما أظن ترقب ذلك منها أفراطا في الامل ، ما دامت تسير منذ خرجت الى الوجود من الحسن الى الاحسن ، فمن جد نحو بعيد الغايات ادرك المسعى ، ومن سار على الدرب وصل .

عمان ــ الاردن
محمد سليم رشدان

الحقد الاخير

من ديوان « عودة السندباد » المعد للطبع

نفخ الصور فقام الميتون
من قبور الصمت والاوزار قام الميتون
ينزعون الكفن البالي وآثار المنون
يفركون الاعين الظمآى فتشتد الجفون
يسرجون الخيل والليل وآلاف النجوم
يحملون اللهب القاتل والريح السموم
يرفعون الراية النزافة الحقد الاخير
يتحدون جدار الموت والوجه الاجير
يصهرون الكسل المزمن والوهم الكبير
صوتهم جلجل في الافاق .. في عرس السحر
مرحبا يا ارضنا الخضراء يا ارض المطر
مرحبا بالموت في واديك .. في ضوء القمر
مرحبا بالنور نغشاه فرادى وزمر
مرحبا بالنور يغشى انفسا .. يغشى عيون
من قبور الصمت والاوزار قام الميتون
انهم بعض سرايا العائدين
انهم ميلادنا .. ميلاد فجر الثائرين

اتراهم مر عام يحلمون .. !
بصباح يخرج الفارس من ليل السجون
بنهار ثاقب الاضواء ، هدار اللحون
اتراهم مر عام يحلمون .. !
اتراهم حملوا المشعل في الليل وساروا
عبروا الف جدار وجدار
قطعوا الاهوال .. ارضا وبحار
فتحوا القمقم في وجه التتار
واغـــاروا
فاذا المارد جيل العائدين
واذا هم ينظرون :
انهم قد آنسوا نارا تلوى من بعيد
عبر انفاق الدجى عبر متاهات الجليد
عبر كهف البؤس والتشريد والجرح الجديد
قبسا يجرح تاريخ الظلام
انه عاصفة الفتح وتيار الصدام
انه البرق الذي خلناه وهما وسراب
عندما كنا تراب
انه الميلاد يأتي بعد عشرين عجاف
انه عيد القطـاف
انه التاريخ قد هز قبور النائمين
انه يوم الحساب الحق والفتح المبين
انه صوت الرفاق العائدين ..
انه ميلادهم .. ميلاد فجر الثائرين

آه يا وجه حزيران الجديد
آه يا فارسنا الشرقي في درب الخلود
آه يا نجم السعود
انك الثار الذي ظل مع الغيب نشيد
آه يا وجه حزيران الجديد
سوف نحيلك لهيبا وحديـد
فلقد دوى مع الصبح النفير
ولقد هب من النوم الرقود
فاذا الحلم الشتائي حقيقه
واذا المارد شق اليوم للنصر طريقه
واذا الابطال في عزم يدكون الحصون
نفخ الصور فقام الميتون
من قبور الصمت والاوزار قام الميتون
ينزعون الكفن البالي وآثار المنون
يسرجون الخيل والليل والاف النجوم
يحملون اللهب القاتل والريح السموم
يرفعون الراية النزافة الحقد الاخير
يتحدون جدار الموت والليل المطير

دمشق

محمد منذر لطفي



كمــال رســتم

رواية اليوم في العالم

بقلم أنتوني بيرجيس

عرض وتحليل : كمال رستم

* * *

ما من شك في أن عالم الرواية يزخر بالاسماء الجديدة التي تلمع في سمائه كل يوم .. فكيف نكتسب معرفتنا بهؤلاء الكتاب الذين تظهر آثارهم في لغة نجهلها .

يجيب أنتوني بيرجيس الذي يأخذنا معه في سياحة حول العالم في كتابه « الرواية اليوم » ـ الذي نقدم هذا الفصل منه للقارىء ـ يجيب على هذا السؤال بقوله اننا يجب ان نتعرف على هؤلاء الكتاب من خلال ترجمة اعمالهم ، ولكنه لا يلبث ان يستدرك قائلا : انه بقدر عظمة الكاتب بقدر ما تكون صعوبة ترجمة اعماله ، ذلك لأن الكاتب يكون داخل لغته مستغلا نغماتها وايقاعاتها واصطلاحاتها وغوامضها .

فمثلا احدى القمم الروائية العالمية في الوقت الحاضر وهي رواية « دكتور زيفاجو » لبوريس باسترناك لا نستطيع أن نقدرها حق قدرها ما لم نقراها بالروسية ، وذلك لان الرواية تزدحم بالرموز التي تنطوي عليها اللغة ذاتها ، حتى أسم البطل له مغزى خاص بالنسبة للقارىء الروسي ، فلفظة زيفاجو الروسية معناها « الحي » وهي تحمل ايحاءات ذات طبيعة طقسية دينية ، وبالمثل اسم زيفاجو الاول «يوري» فهو شكل من جورج وهدفه في الرواية أن يحطم التنانين .

ان رواية « دكتور زيفاجو » مليئة بالرموز والتوريات ذات الدلالة ففيها شيء من « فينجانزويك » رواية جيمس جويس الا أن هذه الرواية الاخيرة بالرغم من محاولات بذلت لترجمتها الى لغات أخرى ظل معناها الحقيقي مستعصيا على الخضوع لاية لغة غير لغة جويس .

وكلما ابتعدنا عن لغات المجموعة الهندوجرمانية (الرومانية والالمانية والسلافية التي تعتبر شقيقات للغة الانجليزية) كلما ازدادت صعوبة ترجمة ادابها الى أدب انجليزي وهذا يفسر جهلنا النسبي بما يجري في الرواية اليابانية او الاندونيسية أو الصينية ، وطبيعي أن نلمس افتقارا كبيرا في المترجمين من هذه اللغات ، فمثلا الروايةاليابانية يكاد يكون الكاتب الياباني الوحيد المعروف في الغرب هو جوفيشيرو تانيزاكي واعماله « المفتاح » « والشقيقات الماكيونات » « ويوميات عجوز مجنون » مقبولة لانها تتناول اليابان « المستغربة » ولها خصوصا المفتاح محتوى جنسي .

واذا كنا نقرأ روايات صينية قليلة جدا فذلك يرجع بدون شك الى حقيقة ان الكتاب الصينيين في قبضة ايديولوجية قوية ولا يقبلون الحقيقة كلها عن الحياة ، وانما فقط الحقيقة كما يراها الحزب . ومثل هذا القول يصدق على الرواية في أغلب البلدان الشيوعية ، وبالرغم من انه توجد استثناءات من هذه القاعدة كما سنرى (١) .

ولا يوجد الا القليل من الروايات في الملايو سواء في شكلها الملايزي او ـ الاندونيسي ، فالقصة القصيرة او القصة الطويلة لم تتطور بعد الى رواية كاملة الطول ، ولكن مثل هذه الروايات كما ظهرت في أندونيسيا ، ما زالت تنتظر جمهورا غريبا ، والاستثناء الوحيد هو رواية مختار لوبيس الفريدة « الشفق في جاكارتا » وهي عريضة اتهام لنظام سوكارنو بعثت بمؤلفها الى السجن .

ان الكتاب التامليين في ملايزيا كتبوا الكثير من الاشعار ، والعديد من القصص القصيرة ، الا انهم ابدا لم يكتبوا روايات طويلة ، وعلينا مع كل هذه اللغات البعيدة ان نواجه السؤال القاسي والضروري في وقت معا ، وهو : هل أنتج هؤلاء الكتاب اعمالا قيمة تستحق الترجمة ؟

الروايــة في روســيا :

ان روسيا بلد من كبير المساحة وغزارة الانتاج بحيث تسمح لبعض الاعمال ذات الاهمية والجدارة الفنية بأن تمر من خلال النسيج الايديولوجي . وبالرغم من ذلك فان رواية من اعظم روايات القرن وهي رواية باسترناك تندد بها الزعماء السوفييت . ومع أن تاباكوف يقول انه « لا يوجد ادب سوفييتي » فلا نكران في أن هناك نهضة قوية تأخذ مكانها في حقل الشعر في روسيا ـ حركة شبان يرفضون الخط الايديولوجي الرسمي ، وحيث يزدهر الشعر فان الرواية في (بلد له تقليده الروائي العظيم) يجب أن تزدهر أيضا ، الا ان الكثيرين من الروس يشاركون الكسندر سولزنيتسين اعتقاده بأن الرواية الطويلة لا مكان لها في عصرالتكنولوجيا ، فالامسياتالطويلة التي تقضيها الاسرة الى جانب المدفأة في القراءة العائلية قد ولى عهدها ، ويجب الاعتراف بأن روسيا أنتجت بعض كتاب القصة القصيرة المجيدين واغلبهم ينتمون الى تاروزا مستعمرة الكتاب خارج موسكو حيث وضع الكتاب قانونا لهم يقاومون به ضغوط « الخط الرسمي » وربما من الدلالات ذات المغزى ، ان صفحات من تاروزا وهي مختارات شيقة جدا جمعها كونستانتين بوستوفسكي سحبتها السلطات من التداول وان كان ذلك قد أتى متأخرا حيث كانت قد بيعت منها بضعة الاف نسخة وليس في المجموعة أي هجوم سياسي ، ولكن هناك شواهد على الفردية والشجاعة والافصاح والرغبة في التأثر بكتاب الغرب ، خصوصا ارنست هيمنجواي .

يرى اندروفيلد أن القصة القصيرة تطغى في روسيا ، لان الرواية الروسية استيقظت لتوها من سباتها الطويل وانه من الطبيعي ان تتخذ الخطوات الاولى في الرواية الجادة شكل مجال اكثر تحديدا ، وبالرغم من ذلك فقد حاول ألكسندر سولزنتسين بطل شكل القصة القصيرة ، الخطوة الابعد نحو النوفيلا او الرواية المختصرة . فروايته المعروفة باسم « يوم واحد في حياة ايفان دينيسوفيتش » عبارة عن دراسة الحياة في معتقل ستاليني ، وقد أطريت هذه الرواية عاليا ولكن المرء لا يدري ان

كان الاطراء من أجل الموضوع المطروح للمناقشة ، أم من أجل الاسلوب والشكل . انها قطعة محكمة من الكتابة وان كان ثمة افتقار الى الحياة الفردية في شخصية ايفان دينسوفيتش نفسه ، انه مثل عمال المصانع ، وفلاحي المزارع الجماعية الذين نجدهم في الرواية السوفيتية – التقليدية المتفائلة – كنموذج أو تجريد . ان ما يفتقر اليه حقا هو الرواية التي تتحرر من عقد التاريخ السوفييتي ، لتؤكد للقراء الغربيين أن النهضة في الادب تتقدم حقا .

من هذه الروايات رواية « تذكرة نجمية » لفاسيلي اسكيونوف عن ناس حقيقيين وليست عن أخطاء ماضية او امجاد مستقبلة . انها ليست رواية عظيمة ولكنها علامة مشجعة للاتجاهات الجديدة . وهنالك فلاديمير تيندرياكوف الذي يستطيع في أعمال مثل رواية « الفذ » ان يحيل شخصية ايجابية (ملحد وعضو أمثل في الحزب) الى شخصية انسانية متسامحة ومتعاطفة . وربما نلمس اكثر العلامات المبشرة في رواية ابرام تيرتز القصيرة التي تمثل الاهتمام الغربي باستكشاف العقل الانساني ، وتشخيص الصراعات المختلفة .

ومن المؤكد ان موجة جديدة من الروائيين ستظهر في روسيا السوفيانية ، والى ان يحين ذلك الوقت علينا ان نتناول وجبتنا الخفيفة من القصص القصيرة .

الروايــة في بولنــدا :

وبقية البلاد الشيوعية تصدر القليل جدا من الروايات . فالرواية الهامة التي وردت بعد الحرب من بولندا هي رواية « فرديدولد » اويتولد جوميرويكز نشرت في وارسو قبل الحرب ثم صودرت في سنة ١٩٣٩ ثم ترجمت الى الاسبانية ونشرت في بيونس‌ايرس في سنة ١٩٤٧ وعندما دخلت مرة اخرى الى اوربا الشرقية تلقاها الناس بفتور . الا انه مع تقدم « الحركة » اعيد نشرها في وارسو في سنة ١٩٥٧ ، بعد عشر سنوات من ظهورها لاول مرة . وقد اختلط الامر في شانها على اكثرية القراء فبعد ان قادتهم الى توقع ان يجدوا فيها هجاء لانعدام مذهب الحكومة الكلية ، وجدوا بدلا من ذلك خيالا سيرياليا يلعب بكل النظريات ، ويناهض اليوتوبيين من خلال خفة الروح – الرابيلية (٢) . وفي سنة ١٩٥٨ صودرت رواية جوميرويكز مرة اخرى وكان عليها ان تنتظر ترجمة فرنسية لها في سنة ١٩٥٩ قبل ان يبدأ النقاد مرة اخرى في الحديث عنها باعتبارها عملا ذا اهمية قصوى و « تحفة غريبة » .

الروايــة في المجــر :

وربما كان اهم روائي مجري بعد الحرب هو الروائي الراحل « جوستاف راب » ، فهو ما زال ينتظر الاعتراف به في الغرب ، وهو يستحق هذا الاعتراف بقوة رواية واحدة له هي رواية « ساباريا » التي يدور فيها الصراع بين المسيحيةوالشيوعية . ففي مكان المدينة الرومانية القديمة « ساباريا » تقوم المدينة المجرية زومباثيلي وقد ذهب اليها في سياحة ثقافية ثلاثة رجال : قسيس وعالمحفريات وطبيب في امراض الرئة ، ولكنهم وجدوا انفسهم يواجهون حادثا غريبا ، امرأة عجوز نصف مجنونة تدعي انها سمعت صوت « القديس مارتين » يتحدث اليها من مكنة الخياطة . وقد اعتبرت الدولة هذا الحادث ملفقا يهدف الى قلب النظام الاشتراكي في المجر ، ومأساة الحياة في هذه الرواية تكمن في حقيقة ان الخير والشر يقيمان حيثما يريدان ، لا حيثما تقودنا الى توقعهما اية سلطة . وهذا هو احد شخوص الرواية يعتذر عن اخطائه ضد النظام فيقول : ليس هناك خطا في الكذب على الشيطان ، ولمعترض ان يقول : « ان الكذب خطأ دائما » الا ان الرواية بوجه عام كتبت بطريقة جميلة ومثيرة .

الروايــة في اليونــان :

والرواية اليونانية الحديثة يمثلها احسن تمثيل « نيكوس كازانتزاكيس » الذي رأينا له منذ أعوام فيلم « زوربا اليوناني » . وربما كانت افضل رواياته هي رواية « الاغراء الاخير » التي تعرض حياة المسيح باعتبارها نضالا للتغلب على الشيطان الموجود في كل الناس (المجسد في اللحم والارادة والرغبة في الاشباع المؤقت والقوة) وللحصول على الخير الذي يمكن وجوده فقط في الروح .

ان الرواية حية بقوتها الديالكتيكية وكل صفحة تضج بالنقاش والعراك الذهني ، ان « الاغراء الاخير » من وجوه كثيرة تصور المرحلة الاخيرة من قتال كازانتزاكيس لكي « يصالح النقيضين ويوحدهما في شخصيته ذاتها » .

الروايــة في ايطاليــا :

وانتجت ايطاليا منذ أيام « دانيزيو » « وبيرانديللو » ادبا قليلا كان له صدىعالي ، ولقد قيل‌ان مورافيا وفيتوريني وبارتوليني روائيون مجيدون ولكنهم ليسوا اساتذة ، والانطباع الذي تخلقه اعمالهم هو الافتقار الى اليقين الذي بدونه يستحيل وجود أدب عظيم . ومع ذلك فايطاليا بعد الحرب كان لديها على الاقل الكثير مما تالم له – الحرب التي لم تكن تريد ان تخوضها ، والاضطهاد النازي ، وورطة المجتمع المحطم ، وادراك انه كان هناك فقر مدقع في جنوب ايطاليا وصقلية وكذلك القهر الممتد على طول العصر ، ولكن فيما عدا رواية « كارلو ليفي » : « المسيح وقف عند ابولي » . كان هناك عدد قليل جدا من روايات زوال الوهم اللاذعة التي اثرت كثيرا في البلاد الناطقة بالانجليزية ، وبالنسبة للكثيرين من غير الايطاليين ، الرواية الايطالية تعني بالدرجة الاولى البرنومورافيا وواقعية اعمال مثل « امرأة من روما » « وعصر اللامبالاة » « ومراهقتان » والفلسفة الناضجة واليائسة في وقت معا لرواية الخواء او الضيق دراسة ممتازة لورطة الانسان الحديث ، وعجزه عن الاهتداء الى بدائل للقيم القديمة للحياة في مجتمع صحي . الخواء أو الضيق مفروض في فلسفة مورافيا على جميع اعمال الانسان . ان كل ما يفعله الانسان هو محاولة للهرب من الخواء اكثر منه حصيلة واقع خلاق .

وروائي اخر له نفس اهمية مورافيا وهو أيليو فيتوريني وهدفه الرئيسي ان يعرض فيروايات كرواية «اريكا وشقيقها» «ولاجاريبالدينا» محاولة الانسان ان يسترد كرامته وسعادته في عالم يمزقه التشاحن الايديولوجي ، « وفاسكو براتوليني » اكثر وضوحا في ثلاثية تاريخ ايطالي ، انه لا يهتم بالانسان عموما ، ولكن بالانسان في ايطاليا ، وعلى وجه الخصوص العامل الايطالي ومساهمته في الحزب الفاشيستي الذي طالما عزى الى الطبقة الوسطى وحدها ، وفي ايطاليا يؤثر الوعي السياسي في الاحكام الفنية ، ولهذا السبب هوجمت رواية « الفهد » لجوسيب دي لامبيدوسا ، وهي صورة كريمة محكمة ، وان كانت أرستقراطية للمجتمع الصقلي باعتبارها رواية رجعية وحتى فاشية ، ولكن الفن العظيم يعلو دائما على مسائل العصبية .

الروايــة في المانيــا :

والمانيا هي شريكة ايطاليا في زوال وهم ما بعد الحرب ، وزوال الوهم اتخذ اشكالا بائسة المانية بالدرجة الاولى في الروايات الاولى لما بعد الحرب . فرواية « مدينة خلف النهر » لكاساك ورواية « الختم الذي لا يمكن ازالته » « لاليزابيث لانجاس » مليئة برؤى الفساد الانساني ، وكان هؤلاء الكتاب مصيبين عندما راوا في هبوط النازيين الى الهوة صورة لسقوط الانسان على وجه العموم . هل كان هناك اي

امل ياوح له ؟ ترى « اليزابيث لانجـس » ان الانسان يمكـن فقـط ان يخلص بنعمة الله ، وليس من خلال مجهوداته الشخصية لرد اعتباره . وكتاب مثل « هينريك بول » استملوا نظرة اقل غموضا واخذا بالتقاليد، واكثر معقولية لمرض المانيا . والعمل الاول الذي انشـغل به (بـول وهانس وبرنز ريشتر) وغيره من اعضاء جماعة الكتاب المسماة « جماعة ٤٧ » هو خلق لغة ادبية جميلة ، لغة نظيفة بارعة مطهرة من التزييفات النازية . بهذه اللغة الجديدة سجلوا حياة الجندي وزوال وهمه (ريشتر في المقهور وبول في اين انت يا ادم) وفتحوا اعينهم على عناصر الفساد في المانيا الجديدة التي عاد اليها الجنود . فرواية « ليس بالضبط في عيد الميلاد » تسخر مما يسمى بالمعجزة الاقتصادية الالمانية : يتساءل الماني عائد من المنفى في رواية « بلياردو في التاسعة والنصف » هـل انا مخطىء اذا وجدت الالمان الحاضرين ليسوا اقل سوءا من هؤلاء الذين تركتهم ؟ .

ان هذه الرواية تعرض كل تاريخ الطبقة الوسطى الالمانية من قيصر لهتلر في مدى ساعات قلائل ، مستخدمة رمزية سهلة .

وفيما عدا الذنب والمرارة المستخلصة من تامل الماضي ، لا تـزال المانيا تستشعر عار تقسيمها والرمز الواضح له هو ذلك الحائط الـذي يحيط بالمدينة التي كانت يوما مدينة متعجرفة . ورواية «يوي جونسون» « تاملات عن جاكوب » تعالج العلاقات بين شرق المانيا وغربها ، وبطلهـا جاكوب معانيا من هذا التقسيم الذي هو حالة الانسان المرهقة يقع بين قوتين ومن ثم فهو مشلول . ورواية جونسون الثانية « الكتاب الثالث عن آخيم » تروي محاولة صحفي من المانيا الغربية ان يكتب سيرة بطل رياضي مشهور من المانيا الشرقية ، ولكن السيرة لا يمكن ان تكتب لان الحقائق والاراء والشائعات عن آخيم ـ بسبب هذا التقسيم ـ في صراع لدرجة انه لا يمكن الاهتداء الى الحقيقة ، وهنا اسلوب جونسـون وتركيبه تشيع فيهما الفوضى المتعمدة . وعموما فاهتمامه بالتجربة الفنية يجعله صعب الترجمة ، وهو ليست له شهرة روائي آخر يساويه في المكانـة هو جونتر جراس .

ورواية جراس الاولى « طبلة من الصفيح » عبـارة عن السيرة الذاتية الخيالية لقزم مجنون يستطيع ان يتذكر الماضي الشائن للنظـام النازي ، وذلك بان يضرب على طبلة مسحورة . وجراس يذكر لنا كـل شيء ، ولكن روايته تفتقر الى ما يسمى « بالذنب الرمادي » الـذي يبدو في العديد من الروايات التي كتبت عن هذه الفترة . وقد اسـلم جراس سرده الى مخلوق من السذاجة الى حد انه يمتنع عليه اي موقف اخلاقي بالنسبة للحوادث التي يؤرخها . والرواية الثانية هي روايـة « اعوام الكلب » عن الايام الاخيرة لهتلر وباكتشافنا لما حدث للكلـب الفوهرر المفقود ، نركب من كل انواع المصادر غير المتصلة ، قصة القوة المنهارة ، والنهاية البائسة . وهنا ايضا تترك لنا هذه الرواية انطباعات الموهبة الساتيرية والسخرية وغموض اللغة والشخصية القوية الحساسة ، ولكنها تفتقر الى الوحدة الفنية الحقيقية .

ان الرواية الانجلو امريكية لديها اشياء اخرى تقولها غير اصلاح الماضي او مهاجمة الشخصية الوطنية ، ان اعمال جراس وجونسـون والاخرين الروائية هي تعليقات فذة على التاريخ ، ولكن الرواية يجب ان تكون شيئا اكثر من ذلك .

الروايـة في فرنسـا :

ان الروائيين الفرنسيين كان لديهم دائما تاثير على التقليد الانجلو اميركي اكثر من تاثير اي بلـد من البـلاد الاخرى ، باستثناء روسـيا الامبريالية في الثلاثينات كان الاسم العظيم هو اندريه مارلو الذي اعتبر البعض روايته «الحالة الاجتماعية» علامة قصيرة الامد لنوع روائي جديد هو النوع الملتزم . وبعد الحرب قدمت اعمال الكتـاب الوجوديين ، خصوصا جان بول سارتر والبير كامي نوعا جديـدا من الروايـة الفلسفية .

والموجة الجديدة الان في فرنسا مصحوبـة بما يسمى الروايـة المضادة ، تثير اتجاهات جديدة لفن الرواية وقد تناول الفرنسـيون بجدية شيئين : الافكار والتكنيك . ان الرواية التي كتبها جان بـول سارتر تمثل موقفا للحياة المشروطة بالاحتلال الالماني لفرنسا هذه الفترة التي كانت « عصر القتلة » الذي تنبأ به الشاعر ريمبو كما يقول سارتر في « ما هو الادب » .

لقد تعلمنا أن ناخذ الشر بجدية ، واذا كنا قد عشنا في وقت كان فيه التعذيب حقيقة يومية ، فليس ذلك نتيجة خطئنا ، ولا هو نتيجة جدارتنا . ولقد اوضح لنا شاتوبريان واورادور وداشو واوشويتز ان الشر ليس مظهرا ، وان معرفة سببه لا تذهب به ، وانه ليس مقابـلا للخير كما تقابل الفكرة الغامضة الفكرة الواضحة ، وبالرغم منا نصـل الى هذه النتيجة التي تبدو مؤلمة للنفوس العالية : « الشر لا يمكـن اصلاحـه » .

وقد يبدو من التناقض ان رجالا من امثال سارتر استعادوا الشعور بكرامة الحرية الانسانية (ذلك الشعور الذي فقد خلال الفترة المرهقـة للقرن التاسع العشر) في الوقت الذي كانوا فيه اقل حرية . كانـت هناك المقاومة ، وكانت هناك الحرية الكاملـة غـير المنقوصة لان تقـول لا الشر ولكن اذا كان الشر حقيقة فان الانسان يمتلك القوة لان يقول : « لا » لانواع اخرى من الحقيقة ، وفي عصر ساد فيه الالحاد (سـارتر ملحد) يستطيع الانسان ان يقول « لا » ، لكل بناء الكون : التاريـخ وللطبيعة ولكل شيء عدا قدرته على الافكار .

ان الانسان « يكون » و « يوجد » لانه يستطيع ان يقول : « لا » (قال سقراط هذا منذ وقت بعيـد) ، ولكن ماذا تعني الفـاظ مثل (يكون) و (يوجد ـ ما طبيعة الوجود) ؟

في كتاب طويل هو « الوجود والعدم » الذي كتبه سارتر اثناء الاحتلال قال : ان هناك نوعين من الوجود : الوجود في ذاته ، والوجود لذاته . الوجود في ذاته هو الخاصية او الجوهر الذي تمتلكه الاشياء . ولكن الوجود لذاته هو جوهر الوعي الذي يمكن ان ينظر الى خـارج حدوده متاملا المستقبل ، ناظرا الى الماضي كشاف حر بينما الشـيء ليس حرا . هذا الوجود هو صفة الانسان الخاصة ، مجده العظيم ولكنه في نفس الوقت مفجع . الوجود متغير مزعزع يفتقد ثبات الشـيء المستقل بذاته ، المتملك للوجود في ذاته . الانسان يرى نفسه في كون هائل يتجاهله وجود لذاته يمكنه فقط ان يحصل على الحقيقة من خلال ممارسة الاختيار مثل قول : « لا » ، للشيء ولان الانسان حر في ان يختار فهو سيستخدم هذه الملكة ليظهر انه موجود ، وقد يختار الطريق الصعب لانه باعتباره (موجودا حرا) فان الطريق الصعب لا تفرضه عليه اية قوة في الكون .

وماري مكارثي في روايتها « حرجات الاكاديمية » تعطينـا مثـالا خفيف الروح في كيف ان القدرة على الاختيار تعمل في حياتنا اليومية اننا نشعر بان الاغتسال يجب ان يتم ، واجب . التزام يواجهنـا اذا رفضنا ان نقبل هذا الواجب (متذكرين حريتنا في الاختيار) . يمكننا الاقتراب من الاغتسال وجوديا . اننا سنستعمله لاننا نمارس اختيارنـا لعمله ، فالاعمال الحرة تبرر وجودنا .

ان تمثيليات سارتر وقصصه ورواياته هي تجسـيدات انفعاليـة لفلسفته اكثر من كونها اعمالا اصيلة ، وفي روايته الاولى « الغثيان » التي تصور عصر اللئام او الاوغاد الذي سبق الحرب العالمية الثانيـة والدعوة للبطولة والعمل ـ اكتشف البطل « روكنتان » الوجود مـن خلال الاشمئزاز (ومن هنا العنوان) ولكن الاشمئزاز هنا فلسفي اكثر مما اعتدنا ان نراه في رواية . يرى « روكنتان » شجرة القسطل في حديقة ويسيطر عليه احساس بعبثيتها ـ كتلة هائلة من الوجود في ذاته تفتقد سبب وجودها انها تعبير عن الين (٣) اي القطب الانثوي ، فهي

ضخمة ومزدهرة ومثمرة ولكنها سالبة ، بينما « روكنتان » مثل خالقه في الجانب الاخر جانب اليانج (٤) أي ـ القطب الذكري ـ القوة الذكرية الخالقة الصلبة ، والبحث عن هذه القوة وتحقيقها ـ ارادة قبول الحرية ـ هو عقدة رواية « الطرق الى الحرية » (٥) .

وهي رواية ظهرت منها للان اربعة اجزاء . ان سارتر له مواهب عظيمة ولكننا نجد في كتابته تمدد وافراط شجرة القسطل . ان الشخصيات والحوادث تركب بعضها بعضا ، ونحن لا ندرك ابدا الهدف المنظم الفني للروائي الحقيقي . ان سارتر الفيلسوف هو المهم وتأثيره على الرواية اهم من انجازاته الفعلية كروائي .

والبير كامي مثل سارتر ، انضم الى الكتاب التقليديين كروائي عظيم وليس كفيلسوف عظيم ، فروايات كامي مثل « الطاعون » « وحالة حصار » « والقتلة العادلون » هي بالدرجة الاولى دراسات عن أناس حقيقيين واماكن حقيقية وهي تؤثر فينا كروايات ، وفقط بالدرجة الثانية كتعبيرات خيالية عن الافكار ، ان افكار كامي على درجة كافية من الوضوح ولكي نقدرها حق قدرها يجب ان نلم بعض الالمام بخلفية الكاتب . مولود في اسرة من طبقة العمال الفرنسيين الجزائريين ، عرف مبكرا الحرمان واختزل السل حياة اكاديمية كانت حرية بان تبشر بالامتياز . الحقيقة الوحيدة المؤكدة لديه هي الموت . ولكن من الممكن انقاذ شيء من اليأس كما يبدو ذلك في روايته الاولى « العرس » وقد قوى انهيار فرنسا تشاؤمه بالرغم من انه ، مثل سارتر ، وجد نوعا من الخلاص في الحركة وفي العمل من اجل المقاومة .

في « أسطورة سيزيف » يعرض الانسان كمخلوق محكوم عليه (مثل سيزيف في الاسطورة اليونانية) بأن يدفع حملا ثقيلا الى أعلى تل فقط ليجده يهوي الى أسفل مرة ثانية . سيزيف في الجحيم محكوم عليه باداء هذا العمل البائس الى الابد ، والانسان يجد الانعتاق منه في الموت ، الكون الخاوي والانسان كعبث والحاجة الى العمل ـ هذه تشكل العقد الرئيسية لرواية كامي .

في العبث شيء بطولي و « الطاعون » تظهر ذلك ، ومن الممكن ان يؤخذ هذا على انه مجاز ، فالطاعون الذي يحل على مدينة جزائرية هو طغيان محتل ، والناس ، مبعوثين من خلال اللامبالاة والشجاعة وممارسة الاحسان ، يتخلصون من العبث بالعمل « والغريب » (اولى روايات « كامي » وبعضهم يعتبرها احسن رواياته) هي عن رجل ينطلق من لامبالاته وفوضويته ـ لسبب غير واضح ـ باطلاق النار على رجل عربي وارداته قتيلا ، ويحكم عليه بالاعدام ، ويأتي قسيس ويلح عليه بان يؤمن بالحياة الاخرى . والان ولاول مرة يبدي انفعالا ، رافضا بكل قوة فكرة البقاء بعد الموت ، أدرك أن لامبالاته كانت نتيجة قبوله السلبي لحقيقة ان الموت هو نهاية كل شيء ، والان ينشط الى ان يقول هذه الحقيقة .

انها عنده الاساس الايجابي لملء الحياة . اذا كان الموت يجعل الحياة لا معنى لها فمن واجب الارادة البشرية ان تفرض المعنى ، ولكن ويا لسخرية الاقدار ، لقد فات الاوان لكي يبدأ الحياة من جديد .

وفيما عدا براعة كامي كروائي فاننا نعجب بالشجاعة والامانة اللتين يحاول ان يهاجم بهما العدمية . ان الحالة الانسانية عبث والعالم لا يبالي بالانسان فلماذا اذن ننتحر ؟ ان الانتحار عمل فردي قد يؤدي وقد لا يؤدي ولا يمكن ان يفرض كمبدأ فلسفي عام ، ونحن نترك ـ كما عند سارتر ـ مع ضرورة أن نكون انسانيين وهذا يعني اداء اعمال الكائن الحي ، وقد نظر كل من سارتر وكامي نظرة شجاعة صارمة الى الحقيقة .

ويبدو ان « جان جينيه » احتجز نفسه بعيدا عنها وتشرنق . ولكن الحقيقة عند جينيه تعني المجتمع الذي نبذه كطفل يتيم ، وقضى عليه بأن يعيش في الملاجيء . نزع جينيه الى ما يضاد الحياة الاجتماعية من الجريمة والشذوذ الجنسي وتعلم أن يعجب بالمجرمين وطريدي الحياة ، هؤلاء الذين يقاومون ما يدعوه العالم بالعادية وافضل تقديم لاعماله الانحرافية هي رواية : « سيدة الزهور » والتي يبدو ان هدفها هو ان تنقى وتعطر وتزين حيوات المسجونين والمنبوذين ولتحول كما يقول « عن طريق اللغة الشيء المشهور عنه انه منحط الى ما ينظر اليه باعتباره شيئا نبيلا » ان الشخصية التي تريد ان تذهب الى دورة المياه تتحدث عن « باقتيها من زهور البنفسج » والشخصية التي تنزع الشعر من انفها تقطف « اوراق زهور القراصية والبنفسج » هذا الاظهار للقذر يدل على رغبة في الانغلاق على النفس والابتعاد عن الحقائق الانسانية القذرة ، فان عمل المرء فيجب ان يعمل فقط من خلال الخيال ، وعمل جينيه الذي يعجب به سارتر لا يربطه الا القليل بالحركات الادبية الاكثر حداثة في فرنسا انه نسيج وحده .

الروايــة الجديــدة :

وكتاب الرواية الجديدة او الرواية المضادة ، كما تدعى في بعض الاحيان ، يدعون انهم حصلوا على اقترابهم من الحياة من « الغثيان » لسارتر « والغريب » لكامي . ان ما اخذوه هو عنصر العبث ، ولكن كتاباتهم تذهب الى أبعد من وجودية سارتر ، ولا مبالاة كامي . حقا يتجاهل الكون الانسان ، ولكن دعنا لا نفكر في الكون كتجريد بعيد . ان الاشياء ذاتها التي تحيط بالانسان ـ هي جزء من الكون ووجود الانسان ينطوي على تجاهل تام لها .

ان روايات « الان روب جرييه » خصوصا اشهرها « الغيرة » تهتم بالاشياء الثابتة لا الهروب الغامض للتأمل الميتافيزيقي او الديني او السيكولوجي او السياسي . انها تمثل نهاية الفكرة الخاطئة القديمة والتي بها تردد الاشياء صدى رادارياً لانفعالات الناس الخاصة .

ان عالم الناس وعالم الاشياء فقد الرابطة الخيالية وحتى العاطفية التي طرقتها الاثرة الانسانية . ففي رواية الغيرة وهي رواية انسانية مثيرة ، فان « روب جرييه » يكاد ان يكون هندسيا في اقترابه من العالم الخارجي . ان الاشياء هي ذاتها وليست رموزا ولا استعارات « وروب جرييه » يكرس نفسه للاشياء بدرجة يصح معها ان يطلق عليه اسم عالم الاشياء .

ومع التركيز على الاشياء تبطيء مسيرة الرواية ، وتبلغ اقصى درجات البطء في اعمال « ناتالي ساروت » التي تذهب الى ما وراء مجرد تصوير الاشياء ، وتوقف اهتمامها على ما تطلق عليه لفظة انتحاءات اي استجابات العقل الانساني للمثيرات الخارجية ، وقد نشرت روايتها انتحاءات في سنة ١٩٣٩ ، وهي تسرد استجابات جماعة نساء الطبقة الوسطى للروتين اليومي لحياتهن . ولما كانت الاستجابة لا تهتم الا قليلا بجهاز الشخصية ، فقد أمكن « لناتالي ساروت » ان تعرض اذهان كل اولئك النسوة كذهن واحد . مكتبة سيكولوجية جماعية . وروايتها الاحدث هي رواية القبة السماوية تظهر عدة اوعية كل منها باسم ، وكل منها يتكلم عن نفسه ، دائرة كأنها كواكب متفردة، الى ان يحدث حادث مفاجيء ويسبب تصادمها .

اننا نبتعد مع كل من « ناتالي ساروت » « وروب جرييه » من ادراك الرواية بشخوصها الراسخة المميزة التي تشترك في عقد تقليدية على مستوى تام من الوعي الى عالم الاشياء التي ترى ، ولكن بغير

---

(١) لا حاجة بنا الى القول ان هذا هو رأي المؤلف . (٢) نسبة الى فرنسوا رابيليه شاعر فرنسي ساخر هجاء ١٤٩٤ ـ ١٥٥٣ . (٣) و (٤) لفظتان صينيتان . (٥) رواية من النوع الذي يطلق عليه بالانجليزية اسم « الرواية كنهر » وهو تعبير يستعمله المؤلف ليعبر عن الروايات الطويلة التي تصدر في اجزاء وقد تستمر على مدى حياة الكاتب وينهيها فقط الموت ، موت الكاتب أو موت القارىء .

وضوح ، او عندما نرى تقبل فقط باعتبارها رموزا .

ان الرواية المضادة باستطاعتها وهي تذيب الشخصية الى وعي خالص ان تذيب ايضا ذلك الزمن الذي تتحرك خلاله الشخصية معيدة صياغتــه .

في روايات « ميشيل بيتور » (مثل مرور الوقــت) يمكننــا ان نعيش ذكرياتنا عكسا على طرد ، وسرعان ما يصبح من غير الضروري ان نرى الرواية نفسها (الكتاب المطبوع) كنموذج للعمل الرتيب القديــم المؤقت الكئيب (بان تبدأ بالصفحة الاولى الى ان تنتهي الى الصفحــة الاخيرة) ان الرواية يمكن ان تكون مثل القاموس او دائرة المعارف تفتح عند اي صفحة ، وما من شك في اننا نرحب باية محاولة توســع مــن مفهومنا للرواية بان نجعل منها شيئامعاصرا ، وان نمتص الاراء الجديدة في العالم التي يحملها الينا العلماء ، ولكن من الخطر ان نحرك الرواية بعيدا عن دائرة الاستمتاع . ان اي عمل فني يجب ان يكون تراضيــا بين ما يمكن ان يعطيه الكاتب وما يمكن ان ياخذه القاريء ، والا فان كتابة الرواية تكون مجرد هواية خفيفة تمارس في دائرة اسرة صغيرة او في صالون جماعة من الاصدقاء المتعاطفين .

ان نوع التجريب الفرنسي في الرواية ليس جديــدا . لورانس ستيرن الذي يعتبره الكثيرون من الكتاب الاوروبيين استاذهم قلــب نسيج الرواية بطنا لظهر في رواية « تريسترام شاندي » في القــرن الثامن عشر ، وكانت « فرجينيا وولف » تلعب بالزمن والشخصية في العشرينات . « وفيليب توينبي » في اواخر الثلاثينات حاول روايــة متعددة النظر ، هي « شاي » مع « مسز جودمان » .

وفيها الحادثة الواحدة ينظر اليها مرة واخرى ولكن من زوايــا مختلفة وفي رواية « حديقة تواجه البحر » نحصــل على تكسير الشخصية الذي يهتم به جدا « روب جرييه » بل ان « توينبي » ذهب الى ابعد مما ذهب اليه الروائيون الفرنسيون من التحرر من النثر الى الشعر ، راجعا في ذلك الى تقليد اقدم هو تقليد رواية روبرت براونج « الجرس والكتاب » وحتى كاتب شعبي « كابرك لنكلتر » حاول في رواية « قائمة الشرف » رواية ذكريات ستاتيكية : مدرس محال على المعاش يفكر في بعض تلاميذه القدامى الذين ماتوا في الحرب وهو يفكر شعرا لا نثرا .

فــي انجلــترا :

وبعض الروايات البريطانية الحديثة تظهر تاثرها بالمثال الفرنســي « فكرستين بروك روز » بعد روايات عــادية مثل « لغــة الحــب » « والوسطاء » انتجت رواية مضادة هي « خارج » التي تــدور حوادثها حول مستقبل خيالي لبريطانيا وقد حكمها الملونون ولكــن بــدلا مــن الانغماس في تجريدات الخيال ، تسجل بدقة سطح الحياة .

ان « كريستين بروك روز » مثلها مثل كتاب الرواية المضادة فــي فرنسا ، ولهذا السبب مثلها مثل « جيمس جويس » لا ترى لــماذا ان ملاحظة نسيج الحياة يجب ان تسرع ، ومن ثم فقد زيفت بتجاوزهــا احتياجات الرواية العادية ذات العقدة بحدثها السريــع ، وعلاقاتهــا المدبرة ، وحلولها المــاهرة . ومثل هذا القول يصدق على الروايــة « الباب الموصل » « لراينر هابنستال » وهي المثال البريطاني للروايــة المضادة منذ ان كتبت « راينر هيبنستال » كتابا عن الموجة الفرنسيــة الجديدة هو « التقليد الرباعي » .

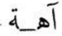
ومرة اخرى فان القاعدة هي نسيج وملاحظة قريبة للسطح ، ورفض للاسراع ، والبطل الراوي ليس له حتى اسم . ولا بد من الاشارة الــى « ويليام بيروز » المنفي برغبته طالما ان بعض رواياته صودرت لعــدة اسباب ، وقد وصفت اهمها بالفحش وهي رواية « العشاء العــاري » التي ظهرت اخيرا في انجلترا ، وهي عبارة عن هجاء مباشر ، معدومة الشكل ، تحس فيها لذع « سويفت » عن عالم يسكنه مدمن المخدرات ، عالم شره ياكل الضعيف (مدمن المخدرات) ويفتك بالمحتــاج (مدمــن المخدرات) ولكمن قوة « بيروز » في نثره الطليق وقدرته على مهاجمة الاعصاب ، ولكن هذا النثر في « العشاء العاري » في خدمة الهــدف التعليمي مثل هجاءات «سويفت» التي ليست روايات حقيقية « وليست نثرا فنيــا » .

وفي رواية « التذكرة التي انفجرت » يصول في وسيلة جديــدة وسيلة خيالية تماما لا مكانية ولا زمانية وفيها الجملة العادية تتكسر ، والمؤلف يهز القــاريء .

اننا نرحب بالتجريب في الرواية ، ويجب ان نسمح لها بان تذهب الى ابعد ما تريد في اتجاه عمل « بيروز »الذي له ثلاثة تيارات شعور مكتوبة في ثلاثة اعمدة متوازية ، او اضافة قصة الى النص الرئيسي ، وتعليق في الحواشي او في تحطيم الطريقة التقليدية للقراءة ، (كمــا في رواية بيتور) التي يجب ان تقرا في نسختين في وقت معا ، واحدة للشعر واخرى للتعليق ، او في تحطيم الشخصية والعقدة والديالوج وكل امجاد الرواية التقليدية . ولكن سوف يكون امرا يؤسف له حقــا ان نلقي وراء ظهورنا بكل ما تعلمته الرواية خــلال القرون البطيئة لتطورها . ان الرواية الثورية العظيمة حقــا « كيوليسيس لجيمس جويس » هي التي تغلق الماضي قبل ان تتقدم الى عتبات المستقبل .

واذا جاز لنا ان نضيف كلمة الى ما قاله انتوني برجس فهي اننا نهيب بكل من يمتلك عندنا ناصية لغة من اللغات التي كتبت بها هــذه الروايات التي اشار اليها برجس في هذا الفصل من كتابه ، ان ينقــل الى اللغة العربية هذه الاثار التي عرفت طريقها الى الغرب ، واقــروا لها هناك بالتفرد والامتياز ، وحتى لا تقف معلوماتنا عن الرواية في هذه الامم عند حد العناوين والاسماء ، بل تتجاوز ذلك الى النصوص ذاتها ، وهذا ما حفزنا الى تقديم هذا الفصل للقراء .

القاهرة — كمال رستم



لا تقربي الوتر الذبيــح فانــه
اضحى يصوغ لاصغري عذابا
وأترك زمام الود يمضي حيثما
دفن الوداد وعانــق الاطيابــا
وتناس عهدا قد رعيت فربمــا
ابقى الزمــان لمقلتــي سرابــا
خفــق الفؤاد بحبكــم فتلألأت
زهر النجوم كواكبــا وشــهابا
ومنحت ودي طاغيــا متأججا
فاضحت في عمر الربيع شبابا
ورشفت من كاس الحنان لأرتوي
فسقيت من كاس السموم شرابا
حكم الزمان بجوره فتظافرت
سحب الشقاء ، فامعنت ارهابا
فذرفت من دمعي السخي لاشتكي
وكتبت من نزف الجروح عتابا

بغداد — مي الحسني

طق ! طق ، طق ، هذا النقر على بلاط ارض العمارة التي يعمل فيها قاسم يسمعه في اوقات متباعدة . يسمعه وهو يسجل في السجل المفتوح امامه ، وكذلك حينما يعد كتابا موجها الى احد لمراجعين في الدائرة . هذه الطقطقة التي يعزفها كعب الفتاة الضاربة على الالة الكاتبة على ارض الممر وهي خارجة من غرفتها او عائدة ليها ـ هذه الطقطقة ملأت قلب قاسم بالحان انثوية عذبة مخدرة اذهلت عقله لحظات سعيدة . ان الانسة غيداء تسير في براءة وبلا تفكير فيما تتركه نقرات كعبي حذائها من تأثير في قلب قاسم . وهو ينسج حول تلك الطقطقات صورة جميلة لوجهها الفاتن وقوامها الرشيق ، ثم يطلق تنهدة عميقة طويلة في صمت وهو يخط بقلمه في السجل . مرارا صادفها في طريقه وهو ذاهب الى المدير لمواجهته ، ولكنه كان يخجل نادبا ان يلقي نظرة عليها ، وان كانت بعض نظرات خفيفة موجزة تنطلق من عينيه شبه المغمضتين الى بعض مفاتنها . وهو لا يجرؤ ان يحييها او يسألها عن شيء . كان كلاهما يمر بزميله في صمت وهدوء كأنه لم يمر به . واخيرا يعود لى غرفتهالواسعة التي تضم بضعة موظفين يعملون معه . موظفون رجال ليس بينهم امراة واحدة . اما غيداء فانها تعود الى غرفتها التي تعمل فيها فتيات اخريات ضاربات على الالة الكاتبة . الرجال يعملون وحدهم . والنساء يعملن وحدهن .

« أصوات من الخارج : ان قاسما شاب عصبي المزاج ـ انه لا يحتمل مزاحا ولا مداعبة ـ في بعض الاوقات يلين حتى يصبح كجدول لطيف يمر في ارض خضراء ، وفي بعض الاحيان يغضب ويصخب كالبحر الهائج ـ انه في حاجة الى زواج ـ الى زوجة تداعبه وتدلله وتزين له الدنيا . مسكين ! في الامس سخط على زميله يوسف حتى لقد مزق ورقة من سجل رسمي كان مفتوحا امامه . حينما يغضب لا يعرف ماذا يصنع » .

(قاسم شاب مثقف رقيق القلب مرهف المشاعر وان كان يبدو غليظ القلب جافا في ساعات غضبه . ن له بين زملائه في الدائرة اصدقاء اوفياء . وامه تحبه وتتفانى في سبيل راحته والاهتمام بشؤونه . وابوه لا يقف عثرة فيطريق حريته . ومع ذلك فهو يشعر انه وحيد في هذه الحياة . ان الناس لا يعرفون لماذا يسخط قاسم ويغضب . وهو نفسه لا يعرف سبب ذلك ولا يعترف بانه وحيد) .

حينما خرج قاسم من الدائرة



بقلم عبد الحميد الانشاصي

سار في اسواق المدينة لمزدحمة بالمارة من الرجال والنساء ، فوقعت عيناه على كثيرين من الرجال يسيرون وحدهم ، وعلى بعض النساء يسرن وحدهن . فلما وقعت عيناه على رجل يسير مع امراة . انه ما زال تابعا لعالم الرجال وحده حتى في الاسواق لا في الدائرة فحسب .

(أصوات من الداخل : انني حزين . انا ضال . انا غريب . انني أعرف كثيرين من هؤلاء الرجال الذين يمرون بي فاحييهم او يحيونني . ولكنني لا اعرف هؤلاء النساء اللواتي يمررن بي . لا أعرف أمتزوجات هن ام عذارى ، مع ان المدينة ليست كبيرة الى درجة يعسر علي عندها معرفة هؤلاء النساء . انهن يمررن بي في صمت وهدوء دون ان يحيينني . لماذا ؟ وهن ينتمين الى الشعب الذي انتمي اليه والى المدينة لتي اقطن فيها . عجب ! لماذا لا اتعرف الىهؤلاء النساء واحادثهن؟ انا لا اريد ان انشىء علاقات غرامية بيني وبينهن ـ اعد بذلك . كل ما اطمع فيه هو العلاقات الودية ـ علاقات صداقة فقط) .

راى قاسم فتاة مقبلة نحوه في سرعة ونشاط واهتزاز منطلق حر . كانها كانت مقبلة عليه لتصافحه وتحادثه ، فابتسم لها ، ولكنها لم تبتسم اليه ، وان كان وجهها يبعث ابتساما خفيا مصدره جودة صحتها وخلو بالها من المنغصات . غير انها ما لبثت ان زوت ما بين حاجبيها في استياء من ابتسامه الفجائي ، وادارت وجهها عنه في نفور . وادار هو وجهه خزيا من تلك الصدمة . ولما ابتعدت عنه التفت وراءه مسرحا بصره فيها ، فالتقت عيناه عينيها وهي تلتفت وراءها نحوه في استغراب . وبعد ذلك راى قاسم شابين يتحادثان ويتغامزان عليه في ابتسام . فاسرع في مشيته مبتعدا عن تلك الفتاة وذينك الشابين .

وبينما كان قاسم يسير في سرعة ذاهلا هاربا اذ سمع صوتا ينادي :

ـ قاسم !

فتوقف قاسم عن المسير متلفتا حوله ومسرحا بصره في المارة باحثا عن مصدر الصوت . واخيرا وقع نظره على وجه يفيض ابتساما . انه وجه صديقه روحي . ثم اقترب منه روحي وصافحه في حرارة . وبعد ذلك قال ووجهه ما زال محتفظا بفيض ابتسامه :



- ما لك تسير مسرعا يا قاسم ؟ انك دائما عجلان .

فتوهم قاسم ان صديقه لاحظ ما جرى بينه وبين تلك الفتاة التي ابتسم اليها وراى ذينك الشابين اللذين تغامزا عليه ، فاحمر وجهه خجلا ، واجاب بعد لاي :

- لا شيء . انني عائد الى منزلي .

(لا تسلط علي تلك النظرات الساخرة النافذة الى اعماقي . دعني وشأني . انصرف يا روحي ولا تزد نفسي عذابا) .

ثم زالت ابتسامة روحي ، وقال بنغمة جدية :

- هل انتهى وقت الدوام في الدائرة ؟

- نعم .

(اظن انك لا تعرف شيئا مما جرى لي الان مع تلك الفتاة) .

ثم هم بالقاء تحية الوداع على صديقه ، ولكن هذا استوقفه بقوله :

- لماذا لا تزورني في منزلي يا قاسم ؟ انك مولع بالوحدة . هل نسيت تلك الايام الحلوة التي قضيناها معا في الكلية ؟

(لقد كنا خير صديقين . ولكنك تبدو الان كرجل غريب عني) .

فهز قاسم راسه في اسى واجاب :

- انني منهمك في العمل يا عزيزي . دائما شغل . دائما شغل ، في الدائرة وفي خارج الدائرة . اقوم بالاعمال الرسمية حتى الثانية مساء . ولا اكاد أتناول غدائي حتى اذهب الى حانوت النوفوتيه حيث اجري حسابا مع شريكي ابي احمد . ولا اخرج من الحانوت قبل الثامنة مساء . هنيئا لك ! انك مستريح من مثل هذا التعب .

فمال روحي براسه الى ناحية ، ثم قال بعد هنيهة :

- لماذا ترهق نفسك هذا الارهاق يا صاحبي ؟ الا يكفيك راتبك ؟

(لعلك تفكر في الزواج) .

- اريد ان اجمع ثروة لمستقبلي فان راتبي لا يكفيني .

(ان الزواج هو كل شيء في الحياة . انت متزوج ، ومعظم اصدقائي ومعارفي متزوجون ، فلم ابقى عزبا ؟)

فهز روحي راسه هزة الفاهم ، ثم قال بعد قليل :

- انك تريد ان تتزوج . اليس كذلك ؟

فهز قاسم راسه في صمت . ثم تأبط روحي يده وقال :

- دعنا نسير معا على الرصيف قليلا .

وسارا في بطء . وقال روحي لصديقه :



عبد الحميد الانشاصي

•

- هل تطالع شيئا من الكتب في هذه الايام ؟

- كتب ؟ كلا .

(انا مالي والمطالعة ؟ كل همي ان أصبح رجلا غنيا لكي اتزوج وابني لي دارا فخمة كغيري من أصدقائي)

- الا تتردد الى مكتبة المدينة من حين الى اخر ؟

- كلا . انا لا اقرا الا الصحف . اشتري صحيفة كل يوم .

فانبعثت نغمة آسفة من بين شفتي روحي ثم قال :

- ولكنك ان ظللت منقطعا عن قراءة الكتب النفيسة تلاشت معلوماتك التي تلقيتها في الكلية ولم تكتسب من المعلومات الضرورية ما ينير لك طريق الحياة .

(وبذلك تغدو شبه أمي ويصدا عقلك) .

- ولكن وقتي لا يتسع المطالعة . انه لا يكاد يكفي للقيام باشغالي الرسمية والتجارية كما قلت لك .

(انك متزوج ومستريح الان ، ولذا تجد وقتا للمطالعة) .

- يا للخسارة ! لقد شغلك الشوق الى الزواج عن المطالعة . غدا تضحي كأولئك الذين لم يتلقوا في المدرسة سوى دروس معدودة .

فانتفض قاسم في عصبية ، وقال بنغمة حادة :

- ماذا تعني ؟ هل تظن انني اغدو في المستقبل أميا ؟ انك مغرور بنفسك . انت تتوهم انك اديب كبير او عالم جليل . اليس كذلك ؟

(انك تستحق مني صفعة ثقيلة)

ثم خلص يده من ذراع روحي قائلا بتهكم مر :

- ارحني من صحبتك ايها العالم الجليل .

ومضى في طريقه يهتز سخطا وثورة ، وصديقه ينظر اليه في ابتسام خفيف وسخر مكتوم بدون ان ينبس بكلمة .

وبعد ان تناول قاسم الغداء في منزله ذهب الى شريكه ابي احمد فوجده منهمكا مع امراة في المساومة في بلوزة وقع عليها اختيارها لتشتريها . ولاحظ أن شريكه كان يجادل المراة في لطف وهدوء ورحابة صدر . وبعد ان اشترت المراة البلوزة وانصرفت التفت قاسم الى شريكه قائلا في حدة مكتومة :

- حلمك عجيب يا ابا احمد . انك صبور ولطيف مع النساء .

(لعل سبب ذلك هو كثرة التحدث اليهن . ان نغمة حديثهن ورقة

كلامهن تنسيانك همومك وتبعثان في نفسك متعة ومسرة) .

فحدجه ابو احمد بمؤخر عينه ثم قال :

ـ وماذا تريدني ان افعل ؟ ان لم اساير النساء والاطفهن انصرفن عني دون ان يشترين مني شيئا .

(لو انك في مكاني تبيع التوفوتيه لما اشترت امراة واحدة شيئا منك)

وبعد قليل ابتسم قاسم الى ابي احمد وقال :

ـ آ ! لقد نسيت . لقد قلت لي مرة انك خطبت فتاة .

فقال ابو احمد بصوت منخفض :

ـ اجل .

ـ هنيئا لك ! لقد القيت عبء العزوبة عن ظهرك واسترحت .

(ان هذا هو سبب ملاطفتك للنساء . ليت لي خطيبة !) .

★

واخيرا جمع قاسم الثروة التي كان يطمح الى جمعها ، واخذ يفكر في اختيار فتاة ليتخذها شريكة له في حياته المقبلة . لقد اثنت اخته على صديقة لها اسمها رجاء . لم تتح له الفرصة لمحادثتها والتعرف بها ، ولكنه تمكن من ان يراها . وقد اعجب بها اعجابا شديدا ، ووافق اخته على التزوج بها ، فطلبت امه يدها .

رجاء فتاة عصرية نالت شهادتها الثانوية بتفوق . وهي واسعة العينين تطل بعينيها على من حولها وما حولها في اعجاب واستطلاع وحياة . تحب الحديث والاجتماع بصديقاتهاوزيارةمعارفها والاستمتاع ببهجة الحياة . لونها ليس ابيض ولا اسمر . انه مزيج من السمرة والصفرة الفاتنة . فيه نضج وحلاوة مدخرة وشيء من لون الياسمين الاسفر والعسل الاشقر . وحينما تتحدث يشعر من يصغي اليها ان كل هذه المميزات تسيل مع كلامها من ثغرها الصغير في سلاسة وهدوء . وهي تمزج حديثها الطلي بضحك خفيف موسيقي هادىء لا يتطلب شيئا من الجهد فكانه ينبعث من ثغر خفي غير ثغرها ، وكانها تقع في غرام المعجب بها من الشبان في سهولة .

(رجاء فتاة قويةالشخصية معتزة بمميزاتمفاتنها ، وتطمح الى التزوج برجل مرح وموفق في عمله ويعرف كيف يسليها ويبعث السرور والهناء في نفسها . وهي تعرف كيف تحول رقتها الى سلاح فتاك تقاوم به من يعتدي على كرامتها ويجرح شعورها) .

رضيت رجاء بقاسم زوجا لان اخته وهي صديقتها العزيزة قد اثنت على اخيها واكدت لها انها سوف تسعد معه ان تزوجته .

وقد احاطها قاسم بالوان مختلفة من الراحة ، وكان ينتظر تلك الساعة التي يعود فيها من الدائرة الى داره حيث يأخذ زوجته بين ذراعيه وينهال عليها تقبيلا . مضت ايام جميلة كشريط مؤلف من صور احلام الحب والسعادة . ولكن فيلم الاحلام الذي التقطته عين خيالهما قبل الزواج ودام قليلا بعد الزواج قد انتهى الان ـ بعد ان تحول الشوق الى متعة وتحولت المتعة الى الفة . واخذت الزوجة المحبة للاستطلاع والحياة تتردد الى صديقاتها وتجتمع بهن في منازلهن وتقضي معهن ساعات حلوة مسلية الى ما بعد المساء ثم تعود الى منزلها . وقاسم غيور يريد زوجته لنفسه ، ويريد ان يستغل وقتها دون ان يشاركه فيه احد حتى اعز صديقة عليها . وهو يخشى ان تخونه فقد سمع كثيرا من قصص الخيانة الزوجية قصها عليه زملاء له في الدائرة .

« ـ أين كنت ؟ ـ عند صديقتي رحاب . ـ ماذا كنت تفعلين هناك ؟ ـ لقد زرتها . مضى علي شهر دون ان ازورها . ـ لماذا لا تزورك هي بدلا من ان تزوريها ؟ ـ أوف ! لقد زارتني من قبل ، فرددت عليها الزيارة . ولم هذا التحقيق ؟ هل انا مجرمة حتى تحقق معي هكذا ؟ ماذا جرى لك يا قاسم ؟ ـ انك تعودين الى المنزل في ساعة متاخرة .

ـ وان يكن ؟ ـ اعني انك تعودين في الليل . ـ وان يكن ؟ ـ وان يكن؟ كل شيء « وان يكن » . ان من واجبات الزوجة نحو زوجها ان تراعي شعوره . ومن واجبات الزوج نحو زوجته ان يحقق رغباتها ويطلق لها شيئا من الحرية .

ـ السن سعيدة هنا في المنزل ؟ ولكن السعادة هنا لا تغني عما اشعر به من متعة حينما التقد صديقاتي » .

وقد تبين لرجاء أن زوجها ليس من الخبرة بالحياة بحيث يستطيع ان يحدثها حديثا يدخل على نفسها البهجة والفرح . انه ليس بارعا في الحديث . ان شوقه الى عشرة المراة والتزوج بها حول كل جهده الزوجي الى التقبيل والعناق والضم والى النطق ببعض كلمات يثني بها على زوجته ويمتدح جمالها وفتنتها . هذا كل ما يعرفه في هذا الشان .

وهذا ما جعلها تشعر بالسأم من اطالة المكث في المنزل . تريد شيئا يسليها . تريد ان تستمع الى زوجها وهو يسرد عليها ما جرى له من حوادث يومية وان كانت ضئيلة بسيطة . ان المراة اوتيت موهبة استخلاص المتعة من ابسط الاشياء كما تستخلص النحلة الرحيق من اقل الازهار شانا ثم تحوله الى عسل . ولكن قاسما رجل جدي لا يتحدث الا عما هو هام ولا يكترث للتوافه من الامور التي لا بد منها لاتخاذها حلقات وصل بين الامور الهامة . واني لقاسم ان يعلم ذلك وهو كغيره من الرجال المنعزلين لا خبرة له بالنساء ؟

ـ حدثني . قل شيئا . ان زوج جارتي سناء يسليها بحديثه

عالم الضياء

★

طارديني في غربتي واستبدي … واثيري عوامل الكون ضدي
وتحدي صبري الجميل فاني … بت فوق الاحقاد فوق التحدي
فوق نكد الآلام تصدم روحي … فوق ربد الآلام تنهش كبدي
رب داء كان الدواء لمضنى … عاش ذبح النوى ، اليفا لسهد
وارى في الفناء صورة مهدي … وارى في البقاء صورة لحدي
انا في عالم الضياء مسيري … وانهمار الاضواء ، نهج لخالدي
ومفاوي الحطام لم تزدهيني … فاخذت الحياة زهدا بزهد
هدفي الحب والسماح طباعي … وحصيدي من الانام تعد
واراني مستولدا من عذابي … املا يفسح الطريق لقصدي
وارى وحدتي طريقا لربي … وخلاصي من محرجات كؤد
فدعيني في وحدتي انغني … بقريض يحكي حلاوة شهد
فانا في الوجود خبزي غنائي … فيه احيا وفيه شعة مجدي
ووراء الحياة عندي قصور … من ضياء تجاوزت كل حد

وعذارى القريض يرقصن فيها … والمواعيد من سناء وورد
فاذا تعصف الهموم بصدري … والرزايا ما بين جزر ومد
رحت ارتاح في قصور خيالي … واناجي الرؤى واحلم وحدي

لاباز ـ بوليفيا … جورج الكعدي

الشائق ؟ .

(اهكذا تجلس بجانبي صامتا لا تقول شيئا كانك صنم ؟) .

ـ ماذا اقول لك ؟ ليس لدي ما اقوله لك . حينما اسمع نكتة او ملحة او خبرا ممتعا احدثك واسليك .

(هل تريدينني ان اكون مهرجا لكي اسليك ؟) .

شعر قاسم ان زوجته اضحت رقيبة عليه . وشعرت هي ان زوجها ليس الا عائلا لا يعرف من الاعمال شيئا سوى قضاء حاجاتها من مطعم وملبس . فدب الشقاق بين الزوجين. وبعد ان كان قاسم ينتظر الساعة التي يعود فيها من الدائرة الى منزله صار يفكر في اللقاء البغيض الذي يتم بينه وبين زوجته بعد ان يعود الى منزله . وصار يختبر من طباع المراة واسرار انوثتها ما لم يخطر في باله . وصارت رجاء تنشز من زوجها في جفاء وتلوذ باهلها مؤثرة منزلهم على منزلها . فجعل قاسم يفكر في تطليق زوجته ليبدا حياة جديدة ويجرب حظه مع امراة اخرى مستعينا بالخبرة التي اكتسبها من زوجته الاولى .

عمان … عبد الحميد الانشاصي



١ ـ أبـو القاسـم الآمـدي

ـ ١٤٤ صفحة ـ قطع كبير ـ دار العربية ببيروت

٢ ـ النقد الادبي حول ابي تمام والبحتري

ـ ..١ صفحة ـ قطع كبير ـ دار العربية ببيروت
تاليف محمد علي أبو حمـدة

هذان كتابان يلتقيان عند موضوع واحد تقريبا : الاول منهما رسـالة جامعية أعدها للماجستير محمد علي أبو حمدة ، تبحث في أبي القاسم الآمدي وكتابه « الموازنة بين الطائيين » ، والثاني يبحث بايجاز في « النقد الادبي حول أبي تمام والبحتري في القرن الرابع الهجري » ، وهو يكاد يكون ، في اغلبه ، بحثا في آراء الآمدي النقدية ، ولا سيما في كتابه « الموازنة » . وقد طبع الكتابـان معـا في عـام ١٩٦٩ ، بحجم واحد ، واخراج متشابه . ويكاد القارىء يتساءل : لماذا اهتم المؤلف بوضع كتابين يكاد الثاني منهما يكون موجزا للاول ؟

كتاب « أبو القاسـم الآمـدي » بحث جيـد في آراء الآمـدي النقدية ، يعتبر الآمدي مجددا وسابقا في أسلوبه النقدي الذي يعتمد على ثقافة واسعة ، واحاطة شاملة بالشعر والشعراء ، وفنون الشعر ، ومذاهبه ، وعلوم العربية . فهو ، في هذا ، صاحب مذهب في النقد الادبي اقتفاه من جاء بعده من النقاد ، من أمثال القاضي الجرجاني ، وأبي هلال العسكري ، وعبد القاهر الجرجاني ، والشريف المرتضي ، وابن رشيق القيرواني ، والمبرد وغيرهم .

والمؤلف يرافق الآمدي في كتابه « الموازنـة » خطوة خطـوة ، ويناقش أحكامه ، فيتفق معه حينا ويمتدح ذوقه ورأيه ، وحينا يخالفه الى حد اتهامه في ذوقه وآرائه . فعلى الرغم من سعة اطلاع الآمدي ، ومحاولته البعد في الغالب عن اصدار الاحكام القاطعة في المفاضلة ، وابتداعه طريقة جديدة في النقد ، الا انه كان دائمـا ضمن حـدود القديم ، لا يرى خيرا في الخروج على مذاهب الاولين ، ولذلك كـان ميله مع البحتري ، ولو انه يستحسن احيانا بعض ما في شـعر أبي تمام من الشعر الجيد . وفي هذا يقول المؤلف : « كان الآمدي يحسن تذوق شعر ابي تمام مما يقعضمن عمود الشعر والانماط المألوفـة ، وما خرج عن ذلك من شعر أبي تمام ، فبينـه وبـين ذوق الآمـدي حجاب » (ص ٦٢) .

ويضيف المؤلف : « لو سمح الآمدي لنفسه ان يتذوق شـعر أبي تمـام دونما نظـرة مسبقة دفعته الى الغض منه ، لربما اسـتطاع ان يحسن تقدير شعر ابي تمام ، بل لربما اعاد خطته في الموازنـة علـى مقاييس جديدة » (ص ٦٣) . وهو يكرر هذا المعنى مرارا . ومن ذلك قوله : « ولو أن الآمدي أعاد النظر في أغلال العمود الشعري على ضوء من روائع أبي تمام ، لكان للموازنة عنده شان آخر » (ص ٦٩) .

وظاهر من هذه الاحكام النقدية ان المؤلف ـ على عكس الآمـدي ـ جاء هواه مع ابـي تمام ، فتعصب له على البحـتري ، لانـه يعتبره معبرا في شعره عن ذوق الحضـارة الرقيـق ، بينما يعبر البحتري عن شـعر البداوة . وفي ذلك يقول : « لم يكن للبحتري ـ كما يبدو ـ الامكانات الكافية لتحرير افق تفكيره ، وبالتالي تطوير احاسيسه ومشاعره حتى يتفهم متطلبات عصره الذي تعقدت فيه الحياة وتطورت الحضارة ، ونمت الفلسفة ، وازدهرت العلوم ، لهذا ظل متمسكا بعمود الشعر والانماط الشـعرية المألوفة ، فنال اعجاب المحافظين الذين لا يروق لهم اي تجديد . امـا أبو تمام ، على النقيض من البحتري ، فالظاهر انه قد أتيحت لـه ، بفضل سعة اطلاعه ، وعمق دراسته ، وبعد فراسته ، فرص أوسـع لتفهم حاجات عصره ، وتطلعاته للمستقبل ... الخ » (ص ١٣١) . لهذا نرى المؤلف يعتبر أبا تمام من « أهل الرؤى الكاشفة التي تلحقـه بمصاف العباقرة المبدعين » (ص ٧٢) ويضيف قائلا : « ان البحتري ، الذي وقف الآمدي عند شعره معجبا مصفقا ، ليتضاءل امـام هـذه الومضات العملاقة التي يحلق ابو تمام في اجوائها ، والتي لا يحلـم البحتري في الوصول اليها » ثم يقول : « ان الآمـدي لم يسـتطع بمقاييسه الشعرية الضيقة ان يبصر هذه الومضات الكاشفة في شعر أبي تمام ، فطفق يبحث له عن لفظة مستغربة ، او نسـج مضطرب ، أو خطا نحوي او عروضي » (ص ٩٤) . ويقول في مكان آخر : « ان مقاييس الآمدي النقديةقد قصرت عن تفهماستعارات أبيتمام » (ص٩٨).

وهكذا لا يكتفي المؤلف بالتعصب لابي تمام على البحتري ، بـل تعصب له ايضا على الآمدي حتى ليتهمه في ذوقه وآرائه ، مع انه في مواطن اخرى كان يضعه فوق كل من سبقه ، وفوق الكثيرين ممن جاؤوا بعده في صدقه ، وصواب آرائه ، وعمق ثقافته ، ومـا الى ذلـك . والمؤلف بذلك يناقض نفسه كثيرا : ففي الوقت الذي يعترف فيه بـان الآمدي أدى هذه المهمة الشاقة في الموازنة بين الشاعرين في كـل مـا لهما من شعر على طريقة لم يسبقه اليها العرب من قبل » (ص ٧٥) ، ويقول أيضا : « ان منهج الآمدي في كتاب « الموازنة » لم يقتصر على تحديد خصائص الطائيين وتقييم شعرهما ، بل تجاوزه الى ذلك الفني الادبي ، والحشد الثقافي الزاخر الذي يعتبر صورة صادقة لما وصـل اليه النقد الادبي في القرن الرابع عشر » (٥٤) ، ويقول كذلك : « من ذلك نرى أن الآمدي قد سبق الى تفهم الاسس التي تتفق الان وقواعد الروح العلمية في النقد الحديث بشكل يسـتحق التقديـر » (٥٦) ، وايضا : يستوي الآمدي على مرتبة رفيعة من الثقة والاكبار في نفوس النقاد العرب وبلاغييهم ممن جاؤوا بعده » (ص ١٠٩) .

واكثر من ذلك ما قاله في كتابه الثاني « النقد الادبي حول أبي تمام والبحتري » وهو : « ... وبذلك تبدو شخصية الآمدي النقدية ، فهو يجمع بالاضافة الى الذوق الادبي الاصيل ، قدرة على التعليـل والايضاح ، يعزز ذلك خبرة بالشعر ، وطول ملابسة له تقـرب من الطمأنينة الى أحكامه النقدية ، وخاصة في ما تحيـط بـه المعرفـة ولا تؤديه الصفة » ، ويضيف قائلا : « ان كتاب الموازنة يعتبر بحق أعظم ما وصل اليه النقد الادبي عند العـرب : أحسن فيه الآمـدي استخدام الثقافات في عصره ، وخطا بالنقد خطوات واسعة ، حيـث نقله من دائرة الذوق الذاتي الذي تنقصه الدربة وتعوزه الادلة ... الى الذوق القائم على الدربة ... الخ » (ص ٧٩ ـ ٨٠) .

في الوقت الذي يقول فيه المؤلف كل هذا وأمثاله في الآمـدي ، نعود فنراه يقول ان « مقاييسه الشعرية ضيقة » وانه بهذه المقاييس الضيقة » لم يستطع ان يبصر الومضات الكاشفة في شعر ابي تمـام » (ص ٩٤) ثم يقول في ختام كتابه (أبو القاسم الآمدي) : « ولكـن

نظرة الآمدي المحافظة ، ومقاييسه الضيقة قصرت به عن فهم شعر أبي تمام وتذوقه ، مما أفقد أحكامه النزاهة والاتزان ، وحرمه من التوصل الى نتائج جيدة وأحكام دقيقة ... لكن محافظته دفعته الى أن يصدر أحكاما جائرة بحق الفنان المبدع ، والشاعر العبقري أبي تمام الطائي » (١٣٢) . واذا لم تكن احكام الآمدي نزيهة متزنة ، بل كانت جائرة ، واذا لم يستطع أن يصل الى احكام دقيقة ونتائج جيدة ، فماذا بالله بقي له ؟ وكيف يمكن اعتباره ناقدا على الاطلاق ، بل أن يكون الآمدي ذا « شخصية نقدية تجمع ، بالاضافة الى الذوق الادبي الاصيل ، قدرة على التعليل والايضاح » ؟ وكيف يمكن ان نراه « على مرتبة رفيعة من الثقة والاكبار في نفوس النقاد العرب وبلاغييهم ، وقد سبق الى تفهم الاسس التي تتفق الان وقواعد الروح العلمية في النقد الحديث بشكل يستحق التقدير » ، كما رأينا من أحكام المؤلف في ما تقدم ؟؟ انني لا أدري كيف تستوي هذه الاحكام المتنافرة من المؤلف وتستقيم ؟! ...

وشيء آخر لا اراه يستقيم مع مبادىء النقد السليمة : فالمؤلف يحكم على الآمدي بان يقارن بين نظريته النقدية ونظريات النقاد الغربيين اليوم ، ولا سيما ت.س. ايليوت ـ على الرغم من تاكيده من قبل ان الآمدي « قد سبق الى تفهم الاسس التي تتفق وقواعد الروح العلمية في النقد الحديث » ـ وقد جاءت مقارناته هذه في مواطن متعددة من كتابه (ابو القاسم الآمدي) دون اعتبار لما بين الرجلين من عصور متطاولة : فالآمدي ابن القرن العاشر الميلادي ، وايليوت ابن القرن العشرين . وفي هذه القرون العشرة التي تفصل بين الناقدين تغير الكثير جدا من النظريات والمفاهيم في كل شيء .

والحقيقة انه اذا كان ايليوت صاحب مذهب جديد في النقد الادبي والجمالي في القرن العشرين ، فقد كان الآمدي أسبق منه بعشرة قرون الى ابتداع مذهب جديد في النقد الادبي والجمالي ، ظل مثار اعجاب الدارسين والنقاد الى اليوم . فهل ستعيش مفاهيم ايليوت مثل هذا الامد الطويل ؟ ؟ .

ومثلما وقع المؤلف في أحكام متناقضة في كتابه هذا (ابو القاسم الآمدي) وقع كذلك في تناقضات مشابهة في كتابه الاخر (النقد الادبي حول أبي تمام والبحتري) الذي قلنا انه اشبه بموجز للكتاب الاول ، تكررت فيه الدراسة والاحكام بشكل ملخص . وزاد في كتابه هذا تناقضا اخر في الفصل الاول من الكتاب عند الحديث على (الحياة الاجتماعية في القرن الرابع عشر) ص ١٧ ـ ١٨ ، والحياة الثقافية ـ ص ١٩ ـ فبينما يقول في الاول : « طبيعي في مثل هذه الاوضاع السيئة ان يتحمل اهل العلم والادب الوزر الاكبر من سوء الاحوال المعيشية : فكتب التراجم تعطينا صورة واضحة عن البؤس الذي أصاب الكثيرين من هؤلاء الاعلام » (ص ١٧) ويضرب على ذلك أمثلة متعددة ، تقول في الثاني : « يبدو ان الانقسامات الكثيرة والخصومات السياسية كانت نعمة على الازدهار العلمي والادبي في هذا العصر : فقد تنافست الامارات المستقلة في اجتذاب العلماء والادباء ، وبالغت في اكرامهم » (ص ١٩) .

ولست ادري كيف لم يفطن المؤلف الى كل هذه التناقضات ـ وهي ابرز ما في كتابيه ـ ليخفف منها ، على الاقل ، ان لم يكن في وسعه ان يحول دون ظهورها في الكتابين . وليس من شأني ههنا ان اصحح هذه الاحكام ، وانما أردت ان انبه اليها فقط ، لعل المؤلف يتداركها اذا ما قدر للكتابين ان يعاد طبعهما مرة ثانية .

واذا تجاوزنا عن هذه الاحكام المتناقضة ، وتعصب المؤلف الشديد لابي تمام ، الذي تجاوز تعصب الآمدي للبحتري كثيرا ، بحيث اوقع المؤلف في اكثر مما اخذه على الآمدي مما يستحق المؤاخذة ، فان كتاب (أبو القاسم الآمدي) قد درس الآمدي دراسة جادة ، متمشيا مع خطاه في كتاب « الموازنة » خطوة خطوة ، ومبينا احوال عصره ، والنقد



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — Tel : Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

الادبي في زمنه ، واثره في من جاؤوا بعده من النقاد والبلاغيين ، وثقافته الواسعة في الشعر وفنونه ومذاهبه ، وفي علوم العربية كلها ، والمذهب النقدي الذي ابتدعه . وكل هذا يدل على جهد وجلد جديرين بالتقدير .

عمان ـ الاردن **عيسى الناعوري**

•

بين المطرقة والسندان

مجموعات احاديث ولقاءات مع محمود تيمور ـ ١٨٨صفحة ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة

ترجع صلتي بالصديق الكبير الاستاذ محمود تيمور الى أكثر من ربع قرن ، فقد كتبت اليه ذات يوم وانا طالب على مقاعد الدرس ابدي اعجابي ببعض قصصه وآثاره ، فبعث الي رسالة شكر رقيقة مع طائفة من كتبه الثمينة ، فكانت بداية معرفة وصداقة متينة ، ثم تعاون وثيق في حقل الصحافة الادبية . كان الاستاذ تيمور لي نعم العون وخير سند ، عندما اصدرت مجلة « الصباح » الادبية في العام ١٩٤١ ، اذ كان يمدني على الدوام بآثاره القيمة وتوجيهه . ولم يقف عند هذا الحد من التعاون بل توجه بتقديم مسرحيتين هما « أبو شوشة » و « الموكب » فنشرتهما له في كتاب خاص . وعندما اصدرت مجلة « الدنيا » في العام ١٩٤٥ ظل على صلته الوثيقة بي ، يمدني بين الحين والحين بآثاره وقصصه ومسرحياته دون ان ينسى ان يتحفني بجميع ما اصدر ويصدر من كتب قصصية ومسرحية وروائية وفي غيرها من فنون الادب .

وكان اخر ما اطرفني به عميد القصة العربية كتابه الذي بين ايدينا اليوم ، والذي يجاوز به مجموع كتبه الاربعين على ما اقدر ، ترجم كثير منها الى الفرنسية والانكليزية والاسبانية والروسية والى غيرها من اللغات ، فلقيت ولا تزال تلقى كل ترحيب وتقدير ، اينما حلت ، وحيثما نزلت والى اية لغة نقلت او ترجمت .

ان محمود تيمور واحد من كتاب العربية القلائل ، الذين تعتز بآثارهم المكتبة العربية ، وتفخر بهم اداب العرب من المحيط الى الخليج، فله يرجع الفضل كل الفضل في بناء صرح القصة العربية وتقريبها من الاذواق والاذهان ، وجعلها لونا من الوان الادب العربي في العصر الحاضر بما قدمه الى القارىء من اقاصيص تقف جنبا الى جنب مع اقاصيص « موبسان » الفرنسي و « تورغنيف » ـ الروسي ، وقد تفوق نتاجهما في أحيان كثيرة .

معذرة من القارىء فقد اردت ان اتحدث عن احد كتب صديقي تيمور ، فاذا بي اغتنمها مناسبة للحديث عن اشياء كثيرة ، لا علاقة لها بالكتاب ، ولكنها ذات صلة مباشرة بالكاتب .. الكاتب الذي لا يكاد القارىء العربي يرتوي من نتاجه لشدة أسره ، وحلاوة اساوبه ، ورقة معانيه ، وتحليقه دائما في الآفاق . لقد اصدر تيمور عشرات الكتب في القصة القصيرة والرواية والمسرحية والرحلات والمقالة . حتى شؤون اللغة عالجها ، وكان له في اختيار وتعريب بعض الالفاظ مواقف مشهودة ، وكلمات مختارة شهد بحسن ترجمتها المجمع اللغوي في القاهرة وبعض مجامع اللغة في العواصم العربية الاخرى .

واديب كالاستاذ تيمور تتسابق الصحف والمجلات والاذاعات عادة الى التحدث اليه في شؤون شتى من الادب والفن والحياة العامة . وكانت حصيلة هذه اللقاءات مجموعة اسئلة واجوبة طريفة وقيمة ، بل هي بالغة حدا بعيدا من الطرافة والجودة ... ومن اجل ذلك آثر اديبنا الكبير ان يجمع هذه الاحاديث واللقاءات ، وفيها آراؤه وثمرات فكره ومعلومات على جانب كبير من الاهمية عن حياته ، وطفولته ، وكتبه الاولى ، وتجاربه في كتابة القصة ، ونصائحه الى الناشئين . وهذه الاحاديث نشر بعضها في صحف يومية وبعضها اذيع من الاذاعات ... وبعضها اذيع من (الاذاعة المرئية) كما اراد الاستاذ تيمور ان يسمي التلفزيون .

لقد احسن الاستاذ محمود تيمور في جمع هذه اللقاءات والاحاديث في كتاب ، لانها كما قلنا مجموع آرائه في طائفة كبيرة من قضايا الفكر والادب والفن والحياة خلال ربع قرن . وبقاؤها موزعة في ثنايا الصحف والمجلات حرمان للقارىء العربي من بعض آراء كاتبنا الكبير ، الذي نستزيد على الدوام من آثاره التي يكتبها او تكتب عنه ، فما بالك بآرائه وافكاره ونصحه وتوجيهه ، وهي من صميم حياته وفيض خاطره .

ان كتاب « بين المطرقة والسندان » اثر جديد لتيمور طريف في بابه ، جديد في لونه ، حلو في مادته ، وطريقة عرضه . فالى الصديق الكبير الذي فاق معظم ادباء العرب بوفرة نتاجه ، والذي حلق في قمة ادبنا العربي المعاصر ، تحية شكر واعجاب ، ودعاء الى الله العلي القدير ، ان يمتعه بالعمر المديد والصحة الوافرة ، ليزيد في ثروتنا العربية ، من نتاج قلمه العبقري ، وفيض خاطره الذي لا ينضب.

دمشق **عبد الغني العطري**

•

محمود أحمد السيد رائد القصة الحديثة في العراق

تاليف الدكتور علي جواد الطاهر ـ ٢٠٠ صفحة ـ نشر دار الاداب

لله اناس يشرقون في الدنيا ثم يغربون عنها وشيكا ، لكنهم يتركون آثارا تشع نورا بعدهم فتبقى ذكراهم عالقة بالنفوس والافكار مقرونة بالتخليد والتكريم ، من هؤلاء الذين لمعوا في أدبنا الحديث وطلعوا بالحركات التحررية على ضفاف الرافدين رائد في القصة العراقية الحديثة هو الاديب محمود أحمد السيد الذي كانت من بواكير قلمه مقالات فكرية واجتماعية وقصص متطورة نشرت في صحف بغداد والقاهرة ، وفي مجلة « الحديث » الحلبية التي كانت في عصر هذا الرائد في القصة ، سباقة الى التجديد في التفكير والتعبير .

ولعل مجموعته الاخيرة « في ساع من الزمن » المنشورة عام ١٩٣٧ كانت أفضل آثاره فنا وهدفا ، وان تضمنت مؤلفاته السابقة ادبا نقديا تجلى فيه الصدق والثورة على الحيف والانحراف في زمن ومجتمع شاع فيهما الرياء والولاء لذوي النفوذ الا ما كان من صرخات الاحرار الذين كان في طليعتهم الشعراء : الرصافي والزهاوي والشبيبي والجواهري وغيرهم من قادة الفكر والبيان في العراق .

ومن المحمود في تاريخ أدبنا المعاصر ان لا تضيع فيه ثورات المصلحين والمفكرين ، مهما جار النسيان والاهمال او شغلت الناس قضايا التطور والوطنية ، وحوادث الساعات والبغتات ، فمما يحمد لاهل الوفاء من كتاب العراق أن لا تشغلهم عن ادباء التحرر الوطني في بلادهم والعالم العربي أطوار الحياة الثقافية والسياسية ، فكان من نصيب القصصي الرائد محمود احمد السيد ـ يرحمه الله ـ ظهور مقالات وكتب في بغداد وبيروت تحدثت عنه وجددت ذكراه ، وكان من أصدقها قولا وبحثا واسبقها الى النشر كتاب المحامي الاديب الاستاذ

محمود العبطة الذي قدمه في بغداد سنة ١٩٦١ واهداه الى بعض النقاد والمؤلفين عام ١٩٦٥ في مؤتمر الادباء وكنت بينهم من المدعوين ، فشاقني هذا الكتاب المتواضع واعجبت بما احتوى ثم اطلعت على صفحات وسطور تناولت أدب القصصي الفقيد العراقي في كتب ودراسات عنيت بذكره واثاره ، فما فات باحث او دارس لفن القصة العربية الحديثة أن يذكر رائدا مجددا فيها هو محمود السيد الذي ترك مبكرا مؤلفات قيمة ، حتى وقع في يدي منذ أيام آخر كتاب ظهر في هذا الموضوع ، الفه الاستاذ الكبير الدكتور علي جواد الطاهر وعنوانه « رائد القصة الحديثة في العراق » فحسبته دراسة جديدة للفن القصصي عند الاديب الفقيد الذي عرفه القراء والاصدقاء كاتبا للقصة في بلاده ، ناقدا للمجتمع في عاداته البالية ورواسبه العديدة ، واذا بالكتاب كما قال العميد الاديب في بغداد الدكتور جميل سعيد : مؤلف لم يدرس رائد القصة في فنه أو من ناحية محددة وانما درسه من كل وجه » فضاعت بهذا الاداء المعالم المخططة في كل دراسة منهجية يتوخاها التاليف الجامعي والفكر الحديث .

ولم يكن هذا الاتجاه في جمع « المعلومات » المكرورة أول بادرة في الدراسات الجديدة ، فقد وقف القراء والنقاد على عدة موضوعات المامية لمؤلفين جامعيين وباحثين محققين كان همهم في التاليف والدراسة العودة الى الصحف والدواوين لجمع « المعلومات » على اختلاف مصادرها واتجاهها وتكرار أخبارها فظهرت في كتب ضخمة وطباعة أنيقة لم يعبأ مؤلفوها بتحري واستخلاص الجدير بالذكر والقاء الضوء على امور كانت خافية أو مدسوسة ، فماذا يهم القارىء أو الكاتب من نشر تقارير طبية وحكومية تتعلق بموظف اديب لا تقدم او تؤخر في موضوع البحث والدراسة في ناحية من نواحي تفكيره وآثاره الا اذا كان في مضمونها ما يؤيد رأيا او يدفع باطلا ، وكان عجبي لقدمة المؤلف الاستاذ الطاهر الذي ذكر في صفحاتها الست انه بذل جهدا ووقتا طويلين في جمع « المعلومات » الكثيرة لكتابه ، ولم يكن فيها اي جديد الا التقارير الطبية والحكومية التي تتعلق بوظيفة رائد القصة ونقله من ديوان الى ديوان، وكان المرجو والمنتظر من استاذ كبير كالدكتور الطاهر أن يتناول في كتابه هذا الرائد المجدد في فنه كما ذكر عنوان الكتاب لا من جميع نواحيه حتى المرضية والخاصة ، فجاء تاليفه تكرارا وجمعا وكان كتاب سابقه الى هذا الموضوع الاديب العبطة شائقا طريفا حصر في مؤلفه لباب البحث والدراسة عن أديب القصة دون اعلان أو ضجيج ، وقد ذكره الباحث الاستاذ الطاهر ذكرا يرفع العتاب ولا يحفظ اللباب وذلك في سرد الفهارس والاعلام والمراجع العديدة في الصحف والمجلات وقد يكون ازدحامها للاحصاء والارضاء .

وأسف المؤلف الكبير كما آسف أهل الاديب العراقي وأصدقاءه في حينه أن يمضي الرائد ويغيب في صمت وبعاد دون تنويه بفضله وآثاره الا من سطور في بعض الصحف ، لكنه استثنى مقالا للمرحوم الاديب المصري محمد أمين حسونة نشره في مجلة « الصباح » معددا مآثر الفقيد القصصي ، فعجبت للمؤلف الذي طال بحثه وجهده كيف فاته الاطلاع على مقالي « ذكرى قاص عراقي » في مجلة « الرسالة » المصرية التي اشارت الى وفاته ووفائه ، وكان مقالي رثاء وتقديرا لادب الفقيد الذي كان يهدي مؤلفاته لاصدقائه في مصر والعالم العربي ، وكنت ناشئة في الادب أتمرس بالنقد والقصة لامضي في طريقهما فارسل الي كتبه ومجموعتين من قصصه طالبا ان أتناول بالدراسة مؤلفه الاخير « في ساع من الزمن » وذلك على صفحات « الحديث » التي شجعت أمثالي وحفزتنا للثقافة والاتقان ، فلما قمت بنقد الكتاب معززا بالحجة والبرهان منوها بسبق القصصي وموهبته الخصبة ومحتوى كتابه وأدبه غضب وثار وشق عليه ما جاء في نقدي وتجردي للحق فداور في رده العنيف زاعما بان الخطا من اهمال المطبعة .

ولما توسد هذا القصصي الموهوب ثرى مصر التي بادلته وفاء بوفاء ، حزنت عليه ، وكان مقالي في « الرسالة » يفيض بالاسى والتعبير عن مواهب الفقيد وما كان يرجى من أدبه وتفكيره ، لكن المؤلف البحاثة الدكتور الطاهر لم ير المقال في المجلة التي نقل عنها نبأ الوفاة بمنظاره الكبير وقد رأى فيه جهده الذي لم يسبق اليه .

وبعد فان من الكتب ما يكون هامدا او فاترا في سطوره ومحتواه لانه من النسخ المتشابهة على حد قول المرحوم عمر فاخوري ، فلا تحس وانت تقرا الكتاب المكرور او المنسوخ بحركة او روح دافقة كهذا المؤلف عن « رائد القصة العراقية » اذ خلا من الانطباعات الذاتية والتحليل الدقيق كأن « الموضوعية » تبرء من الذاتية وتفرض الجمود والحدود بين السطور والصفحات ، وأي كتاب خلا من الانطباعات والنقد والرأي فهو عليل كليل ، وان كتاب المحامي العبطة في رائد القصة يموج بالحياة والثورة فقد جاء صدى صادقا لثورة القصصي العراقي الذي لم يكن نابغة عصره ومصره ، وانما كان انسانا صادقا في فنه وأدبه ، سكب موهبته وحياته على قلمه وكفاحه فصور المجتمع والوطن بآلامه وهمومه ، ومن يدري فربما كان أدبه الحر من بواعث الحركات القومية والتحررية على ضفاف دجلة ، وان نبعا يتدفق وينساب فيأتيه العطاش للارتواء شبيه بآثار الطليعة الفكرية والوطنية في أدبنا الحديث .

دمشق **وداد سكاكيني**

•

المدرسة الظاهرية

بقلم السيدة أسماء الحمصي ـ ١١١ صفحة ـ مطبعة الترقي بدمشق ـ منشورات المجمع اللغوي بدمشق

يودي انه لو كان معي هذا الدليل المرشد ، ودخلت دمشق متجها الى دار الكتب الوطنية أو المدرسة الظاهرية ، ويودي كذلك ، انه لو كانت

الادبية الكبيرة أسماء الحمصي ، قد امتد عمرها بعد ، فأتاحت فرصة الاطلاع على دليلها منذ ربع قرن ، حيث كان يرى الناس المكتبة في عهدها التنظيمي الجديد الذي قامت عليه الادبية ، مرتكنة الى عملها ، أو مستعينة بجهود الفضلاء من العلماء .

والذين يطالعون هذه الصفحات التي تعبت في ترتيبها وتبويبها وصياغتها « أسماء » لا يهولهم هذا الجهد بقدر ما يهولهم الحساب والعد والاحصاء واسناد التواريخ ، وتدوين المراجع ، حتى لا يشك في قول ، أو تفقد تهمة النقل دون تمحيص الى أديبة ، تريد المحافظة ، على أسمها ، وتبغي المضي في طريق سليم نظيف .

تستعرض « أسماء » في بحثها الوثبة الثقافية التي تمثلت في « المدارس ودور الكتب العربية وخزائنها في الشرق والغرب » وتمس كل قرن هجري مر على الامة الاسلامية ، حتى ولت دولة العلم في العراق وبغداد على يد التتار ، وتكشف عن مدى الخطر الذي أصاب العالم الاسلامي من جراء الصليبية والوثنية ، وتناقش الدور الخطير الذي قام به جماعة من العلماء في الشام ومصر في دفع السلاطين والكبراء الى المؤازرة في انشاء دور التعليم التي تمثل الحركة العلمية كلها بما تضمه من مدرسين وطلاب ، وما تذهب به تعاليمها الى بث روح المنافسة فيما يكون من مدارس ومساجد وربط وخوانق وزوايا ، يقام فيها الدين ، أو يقعد أهلها لتدريس الفقه على مذاهب الاربعة الكبار .

ولا شك في أنه كانت لدمشق مراكز تعليمية كثيرة شأنها شأن غيرها من حواضر العالم الاسلامي التي كانت تعج بالربط التعليمية ، ودور الكتب التي بقي أثرها الى الان في كثير من حواضر العالم الاسلامي ، يتمثل أول ما يتمثل في هذه الدار التي خصتها الادبية الكبيرة بهذا الكتاب .

ولقد كان للمناقشات التي وقفت لها « أسماء » حول تحقيق اسم « الملك الظاهر » التي سميت المدرسة باسمه ، والتاريخ له ، من جملة الابواب التي أخذت حيزا في المناقشة التي كان أهم ما فيها : التفريق بين كلمة « ظاهر » لقب السلاطين المماليك الثمانية الذين عزي اليهم انذاك تقدم العلوم والفنون .

غير أنه والحق يقال ، ان أمينة المكتبة ، لم تنس دراسة مكتبتها على كل وجه من وجوهها . فأشارت الى بانيها ، وناقشت ابن كثير فيما ادعاه ، وأرخت ليوم عمارتها وافتتاحها ، وموقعها وشكل بنائها ، وأوقافها ، والتدريس فيها والمدرسين الذين تناوبوا عليها ...

وبعد ان أتمت « أسماء » هذا العرض التاريخي ، ونهاية هذه المدرسة ، وما أحاط بها عبر ذلك الزمن ، بدأت تدخل مرحلة جديدة بنظرة أكثر جدة لهذا البناء التاريخي العظيم .

فما كاد القرن الثالث عشر الهجري ، ينطوي على علمائه الذين قصدوا للتدريس في هذه المدرسة ، حتى أخذت جملة مشاهد ، كان أقساها أولئك الصغار الذين كانوا يترددون على أبهائها : « حالين محل المريدين » بعد أن تضاءل شأنها ، وصغر مقامها ، وذهب مركزها الذي تمتعت به أكثر من ستة قرون ، تتيه به على مراكز العالم الثقافية ، وتفخر على ما حولها من البلاد .

ولكن هل كتب لهذه المدرسة أن تظل على نهايتها التي أريدت لها .. ؟

تقول المؤلفة : ان نخبة العلماء الاجلاء الذين توافروا على اعادة مجد هذه الدار قد شكلوا ظاهرة النهوض ، متمثلة في جميع الكتب المخطوطة التي كانت متفرقة في دمشق ، أو قابعة في المكتبة العمرية ، أو مكتبة عبد الله العظم ، أو مكتبة الخياطين ، أو الملا عثمان ، أو المكتبة السليمانية ، والمرادية ، والسميساطية أو مكتبة بيت الخطابة ، والاوقاف ، والمكتبة السياغوشية ، وغير هذا من جملة المكتبات التي كانت نواة حية لانشاء مكتبة المجمع السوري الخالد .

وتحدثنا الادبية « أسماء » في كتابها التاريخي عن سياسة المجمع في مده الدار بنفائس الكتب ، والعمل على النهوض بها ، واعادة مجدها بعد أن وضع في حسبانه أن يمسح ذلك الغبار الذي ران عليها حقبة طويلة من الزمن ، جعلتها تئن لفرط ما أصابها من نكسة كادت تؤدي بها خلال فترة من العاديات ...

ولقد أحصت المؤلفة كل ما كان يتعلق بأمر هذه الدار ، ترتيبا وتنظيما وفهرسة وترقيما ونظاما حتى انها لم تدع ثغرة ينفذ اليها أي ناقد ، أو متردد على هذه الدار العظيمة ، فأثبتت القرارات الوزارية ، والنظام الداخلي لها وعدد الموظفين وتبعية الدار والقائمين عليها ، ومستودعاتها ، ونظام المطالعة والاعارة فيها ، عدا ما يدور بخلد الباحثين والمغرمين بالمطالعة ، والمكلفين أنفسهم حب المقابلة ، وجهد المراجعة .

وفي اعتقادي أن هذه الوثيقة التي أقدمت على تاريخها هذه الادبية ، لما تكتب لها يوم أن تعد الحسنات في باب التاريخ الادبي ، وتحصي أعمال الباحثين في نواحي العقل والنضج والاكتمال .

على أني لا أستطيع ، وأنا أكتب هذه العجالة ، عن هذه الوثيقة الكبيرة أن أمضي دون أن أثبت قول المؤلفة الفاضلة نفسها وهي تختتم كتابها بهذا التواضع الذي أحاله من نفسي محل الاعجاب فأحببت أن يكون شيمة الكتاب والبحاث في كل أرجاء الوطن العربي الكبير :

« هذا جهد المقل ، قدمته لأمهد السبيل الى من يريد بحث تاريخ هذه الدار .. » اذ : لا تزال ... ينبوعا ثر العطاء ، يقنع بالقليل ، ويقدم الكثير شأن أهل الديار » .

القاهرة

أبو طالب زيان

•

ادب الاحاديث القدسية

تأليف الدكتور احمد الشرباصي ـ ٢٥٠ صفحة ـ مطابع الشعب بالقاهرة

هذا كتاب جديد للدكتور احمد الشرباصي حاول فيه عرض مجموعة من الاحاديث القدسية مشروحة باسلوب ادبي يجلو معناها ويعرب مغزاها ، ويوثق صلتها بكتاب الله عز وجل وبحديث رسول الله وهذا عمل جديد من أعمال الكاتب الجهير الذي يتسم فكره بالجمع بين الادب والدين وكل منهما قطاع من قطاعات الفكر الاسلامي والثقافة العربية ، لا تنفصل .

وهو الذي جلا شخصيات شكيب ارسلان ورشيد رضا وعصرهما يعود مرة اخرى الى الابحاث الاسلامية فيقدم عددا من المؤلفات في مجال ادب الحديث النبوي وأدب التفسير للقرآن وادب الاحاديث القدسية ، وهي جميعها تشمل تلك الابحاث والاحاديث والمحاضرات التي قام الكاتب باذاعتها خلال السنوات العشر الاخيرة في مختلف الاندية والجماعات الادبية والاسلامية المختلفة .

وهو يفصل اهمية الاحاديث القدسية بانها الاحاديث التي رواها رسول الله واسندها الى الله عز وجل . والحديث القدسي هو ما اخبر الله تعالى به رسوله بطريق الوحي او بطريق الالهام او بطريق الرؤيا ، فاخبر رسول الله عن هذا المعنى بعبارة وفقه الله سبحانه اليها .

ويقول المؤلف الباحث ان الاحاديث القدسية ثروة جليلة عظيمة فيها تاديب وتهذيب وتوجيه وتعليم ، وعنده أن العلماء قد فرقوا بين القرآن الكريم والحديث القدسي بمجموعة فروق منها ان القرآن يتجلى فيه الاعجاز وتحدي البشر ، بخلاف الحديث القدسي ، وان القرآن هو كلام الله

المتعبد به الذي يتلى في الصلاة بخلاف الحديث القدسي ، لانه مروي عن طريق الاحاد ، وان القرآن الكريم لا يجوز روايته ولا تلاوته بالمعنى ، بخلاف الحديث القدسي فانه تجوز روايته بالمعنى عند الحاجة الى ذلك بشرط ان يكون الراوي عالما بمعاني الالفاظ والتراكيب علما يمكنه من اداء المراد .

وقد حرص الباحث على تفسير المقررات تفسيرا لغويا واصطلاحيا كافيا ثم صور المعنى العام ثم اكد معنى الحديث بآيات القرآن وما يشترك معه من الاحاديث النبوية وبالجملة فقد قدم عملا هاما نافعا في مجال الدراسات الاسلامية والادبية .

القاهرة **انور الجندي**

•

اعلام من الاسكندرية

تاليف نقولا يوسف ـ ٥١٢ صفحة من الحجم الكبير ـ نشر منشاة المعارف بالاسكندرية ـ به ١٥٠ من تراجم أعلام هذه المدينة منذ تاسيسها الى اليوم .

عندما كانت الاسكندرية في صورتها الكاملة ، عاصمة للقطر ثانية ، وثغرا يتبلج بالحضارة البيضاء المتوسطة ، ويفتح لها جميع الابواب والنوافذ ، كان امتلاؤها بالحيوية والشباب يشغلها عن جلال الماضي بغبطة الحاضر ، ويلهيها عن أمسها بيومها ، تعيشه نشاطا حكوميا في الصيف ، ومجتمعا مؤتشبا زاخرا بالعمل والاداء في الشتاء وفي غير الشتاء .

فلا وقت عندها لتاريخ النفس ، والنفس مفعمة ، والوطاب مملىء .. وهكذا الشباب ...

وقد عاشت الاسكندرية الحديثة شبابا جاوز المائة وهو يفوق المالوف في اعمار الافراد ، ولكنه يعد جد قصير في اعمار المدائن حيث يدوم الشباب لبعضها مئين من السنين بعد مئين ...

وقد انفقت الاسكندرية جل شبابها ، وهي تتحدث عن كل شيء ، وتطيل الحديث عن كل امر ، الا حديثها عن نفسها ـ كان سراتها يتحدثون عن رحلات الشتاء والصيف الى عواصم الغرب ومغانيه ، وربما نشروا حديثهم عن ذلك في رسائل او كتب لها حظها من التاصيل التاريخي والنوافح الادبية . وكان عامتها يعيشون في ذلك الخليط المؤتشب من دنيا البحور والبرور المتجمعة في بلدهم ، بابلية الصبغة ، من ذلك الجذر التاريخي الذي كان يجعل من الاسكندرية منافسا لبابل على مركز القاعدة العالمية للعهد الهيلينستي وحلم الحضارة الواحدة الذي فتق به الاسكندر عن امر استاذه ارسطو ، وخرج به عن العصبية الطلقة للحضارة الاغريقية .

فلما انجابت عن الاسكندرية غواشي ذلك الشباب العجيب ، وصحا فؤادها على الحقائق الجديدة ، وهالها تدهور النمو المتوازن لدائرة الحضارة البيضاء المتوسطة ، وذلك الزلزال الذي احدثه هبوط جرم غريب على ساحل الليفانت تشير اليه نجمة اسرائيل الملتهبة بالعنصرية ...

اذا الثغر من ذاته حيال ذات جديدة تودع الى حين مثالياتها العالمية ، وتدرع بالقومية العربية الاصيلة في مقارعة القوميات المجلوبة ، واذا الاسكندرية غير ما كانت ، عندما كانت مراد الكل ، ومكان الجميع ...

راحت السكرة وجاءت الفكرة ، فاخذت عروس البحر الابيض تتحدث الى نفسها ، وتتذكر ماضيها ، فظهر في مدى عشرة اعوام من المؤلفات عن الاسكندرية ما لم يظهر مثله خلال مائة عام .. وضعت عنها المحافظة مدونة تاريخية اشترك في تاليفها مجموعة من اساتذة الجامعة ، والف عميد لكلية الاداب بجامعتها كتابا عن اعلامها في العهد الاسلامي ، ووضع بعض الادباء السكندريين عن بعض هؤلاء الاعلام كتبا تتفاوت في احجامها وموادها ما بين الامتلاء والنحافة ، والعمق والضحالة . وظهرت دراسات عن شعرائها القدامى والمحدثين ، وعن فنانيها المبرزين ، وفصول في تاريخ الحملات والمغازي التي تعرضت لها على مر القرون . وموسوعة عن اسماء شوارعها ، وترجمات لاصحاب هذه الاسماء ، ونصب لعظمائها في حديقة الخالدين .

وكان آخر ما ظهر من هذه الكوكبة من كتب التاريخ السكندري كتاب « اعلام من الاسكندرية » للاستاذ الجليل نقولا يوسف ـ وهو يمتاز عن غيره من الكتب بانه يؤرخ لهؤلاء الاعلام في العصور القديمة والوسيطة والحديثة بطريقة موسوعية اثرت عنه في مجتمع فصوله ومقالاته التي نشرت في كثير من الصحف والمجلات المصرية وغير المصرية .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد تاخر صدوره عما اسلفنا من كتب فانه ربما كان متقدما عن اكثرها في تاريخ التاليف والتوصيف ، لان واضعه صاحب سبق في هذا المضمار ، يشير اليه انه انشا في أوائل الخمسينات موسوعته الكبرى عن « تاريخ دمياط منذ اقدم العصور » بعد أن كان قد سجل فصولها مسلسلة باحدى صحائفها المحلية ...

وانما جاء التاخير ـ وكثيرا ما يجيء ـ لطيبة المشجعين ، وخبث الموقين ، وصعوبات النشر ، واكبر الظن أن ما نشر من موسوعة الاعلام هذه انما كان قوامها المختصر ، وبنيتها الاساسية . وان كثيرا من فصولها وشخصياتها قد ضغطته ضرورات الطبع والاخراج في زمن اذاب الفروق بين قيمة الورق وقيمة الورق فلم يعد يصدق فيه قول الشاعر القديم : ـ

اعطيتني ورقا لم تعطني ورقا   قل لي بلا ورق ما ينفع الورق !

وايا ما كان الحال ، فان ظهور هذا الكتاب بعد لاي ونأي ،

وتأخير وتصمير ، يعد مغنما أدبيا كبيرا في ميدان التعريف بالاسكندرية عن طريق الترجمة لرجالاتها وأعلامها من حيث استيعابــه لقديمهم وجديدهم ، ومن حيث الاضافات الكثيرة والمثيرة التي جاءت بها سعة الاطلاع . وأن المؤلف يجمع الى هذه السمة خصيصة تميز بها في كل ما يكتب ، وهي التعاطف مع الناس والاشياء ، والافضاء من هذا التعاطف الى الفهم وحسن الاداء .

* *

وهنا ـ وعند هذه النقطة بالذات ـ نلتقي بحقيقة الاستاذ نقولا يوسف . فالرجل ربما كتب في التاريخ والاجتماع ، وبحـث فـي الثقافات الاوروبية والافراسية (١) ، وألم بصور من قضايا النقـد . ولكنه قبل ذلك كله وبعد ذلك كله ، هو نقولا يوسف القصاص .

فها هنا ميدان موهبته الخلاقة ، وقدرته الذواقة ، وها هنا عوالمه المتميزة وشخوصه المتحركة بمظاهرها وسرائرها ، ومصادرها ومصايرها. وها هنا لقطاته الدقيقة لنماذج من البشر يموجون في شرق من الارض وغرب ، وفي مدن من القطر وريف ، تحسن خصالهم او تسوء ، وتعلو طباعهم أو تسف . ولكنهم يأوون جميعا من طبيعته السمحة ، وجبلتـه الودودة ، الى ركن لا يعوزه دفء ولا حنان ...

« دراما سريعة رحيمة » ، تلك محصلته العامة ومنها على التحقيق أعماله في التراجم . لانه في مواكبه مع التاريخ مثل «مواكبه مع الناس»، رجل احساس وايناس والتناس . اذا غابت عنه المشاهد المعاصرة عاش مع المشاهد الدائرة .

ومع أن الاستاذ نقولا يوسف يعد في السكندريين اقامة ، ويعتبر علما من أعلام الادب والفن السكندري المعاصر فاني لا أراه في نفسي من نتاج هذا البلد رغم أنه تلقى دراساته الاساسية بمدارسه ، وكـان من تلاميذ عبد الرحمن شكري في مدرسة رأس التين الثانوية .

ذلك بأني أتمثل للشخصية السكندرية سمات ليست هي سماته، وصفات ما تكون صفاته . فالاسكندرية هي وكل الحوف الغربي « مما يسمونه، الان غرب الدلتا» قد أخذت من فرع النيل عنفوانه وديناميكيته وطرحه على الضفتين صفات الجهارة والشطارة . انه أكبر فرعي النيل وأكثرهما أمواجا وقد طوى في مجراه الحالي الفرع الكانوبي القديم الذي كان يصب عند راقودة جذرة الاسكندرية القروي . وربما كانت أحماله مـن متشعمات القرين والدوبال النارية في هضـاب أثيوبيـا وأفريقيا الشرقية أكثر وفرة ومسئولية عن هذا الزخم ، فجل ما كـان للاسكندرية في قديمها والحديث من حضارة وشخصيات بارزة يظهـر عليه هذا المزاج : مدينة تجارة وفخارة ومنارة ، الاصوات فيها عالية ، والفنون مباشرة ، والطبائع مكشوفة ،وأكثر المنسوبين اليها من رجالات الادب والفنون محمولون اليها على متون الهجرة من غرب ومن شرق ، ومن داخل ومن خارج ، حتى اشهر شعرائها المحدثين من أمثال شـكري والنشار وشيبوب قدموا اليها من بور سعيد ودمياط واللاذقية .

وكذلك صاحبنا مؤلف « أعلام من الاسكندرية » ، فانه من أصدق النماذج لابناء النيل الشرقي الهادىء الوديع حيث تقوم مدائن المنصورة ودمياط وبلدان البحر الصغير . ويكثر ذلك النمط الجميل من أبنـاء مصر الدنيا صورا ونفوسا وعقولا ، وحيث نجد من بينهم في جيلنـا المخضرم كوكبة فريدة من العاملين في الحقل الادبي والفني والفكـري أمثال لطفي السيد والعقاد « بأصله الشمالي » وهيكل والزيات وعلـي طه والاسمر والطناحي والعزبي والقاياتي وبنت الشاطىء وأم كلثوم .

فهذا هو محتد نقولا يوسف ، وهذه هي أورومته ، دمياطي مـن أظافر قدميه الى شعر رأسه . وان له لشعرا يحسده عليه أنداده في السن وفيهم من يقول :

وليت أن الشعر بالشـعر يشترى   الن لبذلت الشعر شعرا هو الشعر!

ينتمي الى مدينة الحرير وحاضرة الدمقس والايدي الصناع والاثاث الدقيق ، و « الجبنة البيضاء » واللطائف الكثيرة ، وخوافي الفنـون والاذواق !! ..

من روح النيل الشرقي نشأت خصاله الانسانية ، وتخلقت حركته الدرامية في مجاميعه القصصية ، وانسرحت على أكثر ما يكتـب مـن تراجم ودراسـات .

* *

وبعد ، فان كتاب « أعلام من الاسكندرية » علـى ميزاتـه فـي القسم اليوناني الروماني القديم والقسم العربي الوسـيـط ، يقدم دراسات جديدة عن شخصيات الاسكندرية في عصرها الحديث ، ويتيح الفرصة للاطلاع على جوانب كثيرة مجهولة من حيواتهم وجهودهم فـي ميادين التقدم الحضاري والثقافي بمضامينه الواسعة المتنوعـة ...

وبذا يصل حاضر المدينة بماضيها ، ويقدم معرفة لطلاب المعرفة ووفاء لمحبي الوفاء ، وما أجمل الغايتين في دنيا الفكـر وفي دنيـا الشـعور ...

الاسكندرية — عبد الحكيم الجهني

•

المعلقـــات العشـر

تحقيق وتقديم وشرح فوزي عطوي ـ ٢٢٤ صفحـة ـ حجـم كبير ـ منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ـ مطبعة الاديـب الجديدة ببيروت

كنت أحس انقباضا في نفسي ، حين اطالع ديوانا شـعريا تصـدى لشرحه أديب أو متأدب او طالب شهرة يتعذر عليه احرازها بما يبتكر ، فينالها على حساب غيره .

ولطالما شعرت بمثل صدمة في صدري وأذني ، حين كان الشارح ينبري لتفسير بيت مختل الوزن ، جهـلا منه بالعروض ، وبالمنـاخ الشعري ، مما يذكر بالذين ترجموا مزامير داود ، اول مرة ، وهـم لا يبصرون انه الشعر العبراني ، وكذلك القول في الذيـن انتدبهم الخليفة المأمون لنقل فلسفة الاغريق الى لسان العرب ، فلقد ضلوا كثيرا في تأدية المعاني ، على الرغم من معرفتهم بلغة الاغريق ، لانهم كانـوا جاهلين بالفلسفة ، وبطرق التعبير عن المفاهيم الخاصة بها .

ولقد يسر الله للمعلقات شارحا ومحققا ، هو دكتور في الحقوق، وشاعر يستجيب نداء الطبع ، ساعة ينظم ، فيصور شعوره صادقـا كما صدق الجاهليون في ابراز أحاسيسهم ، وشؤون مجتمعهم ، حتى لكأننا نراهم في مرآة ، ومن هنا ازدادت قيمة أولئك الاعلام الطلائع ، في الشعر العربي ، فما كان ابعدهم عن تزوير الشاعر ، وعن النظـم الهندسي الذي لا تختلج فيه حياة ، ولا يهتز له قلب ، فما أشـبـه قصيد الجاهليين بالزهر الطيب الشميم ، والماء الكوثر ، وما أشـبـه شعر عصور الانحطاط وبعض الشعر المعاصر بالورد الصناعي ، والمـاء المركب في المختبر ، مزاجا من الهيدروجين والاوكسيجين .

فشكرا للشـاعر الوطني الدكتور فوزي عطوي الذي انبرى لشرح المعلقات ، فلم يدع في البحث والتعليق والكشف زيـادة لمستزيـد ، ولعله يثابر على جلاء تراثنا الادبي الغابر ، بمثل هذه الدقة ، وهـذا الوضوح . جزاه الله خيرا ، ويبيض بأمثاله وجه الادب .

بولس سلامة

(١) الافريقية الاسيوية ، خلافا للاستخدام الشائع من ذلك وهو كلمـة « أفرواسيوية » .